موسوعة القرى الفلسطينية

قسم دراسات القرى

بلدة اللقية

قضاء بئر السبع

إعداد:

الباحث والمؤرخ والتربوي

مروان الماضي

2026

موسوعة القرى الفلسطينية

Encyclopedia of Palestinian villages

بلدة اللقية

بلدة اللقية قضاء بئر السبع

للباحث والمؤرخ

مروان الماضي

تدقيق لغوي: علاء الدين النمر

تصميم الغلاف: محمد الدلو

تنسيق وتنضيد: أريج عودة

بسم الله الرحمن الرحيم

الفهرس

إهداء 8

تقديم 9

مقدمة 11

الفصل الأول: لمحة جغرافية 12

الموقع والحدود 12

سبب التسمية 12

مدن وقرى النقب 14

أهم القبائل القاطنة في النقب 16

أهم النباتات الطبية في النقب 16

أهم الحيوانات الطبيعية في النقب 16

الفصل الثاني: لمحة تاريخية 18

النقب وسكانها 18

الحكم العثماني 18

حكم البريطانيين لفلسطين: 1918-1948 20

الفصل الثالث: الحياة الاقتصادية 24

الزراعة 24

الفصل الرابع المدارس والتعليم وأعلام اللقية في النقب 29

أبرز الشخصيات وأعلام العشائر في اللقية 31

الفصل الخامس: الفولولكور الشعبي 33

الطب الشعبي 33

في التقويم الشعبي 37

الفصل السادس الفولكلور الفلسطيني في بلدة اللقية 41

الغناء وأنواعه ومعانيه 41

الأفراح والأتراح: الغناء، الزواج ومراحله والأعراس 48

الفصل السابع: مجازر الصهيونية في شعب فلسطين..... 57

الفصل الثامن: أدب المقاومة السلمية..... 64

التمثيل والمسرح 64

الفصل التاسع: سياسة الانتداب البريطاني في إقامة دولة إسرائيل..... 71

الفصل العاشر: انتفاضات شعب فلسطين 77

الانتفاضة الأولى: انتفاضة الحجارة (1987)..... 78

الانتفاضة الثانية: انتفاضة الأقصى(2000) 79

الانتفاضة الثالثة: انتفاضة القدس لنصرة الأقصى 79

إهداء

إلى أجيال فلسطين والعرب أجمعين، نذكرهم بأهمية فلسطين.

فلسطين، هذا الاسم العذب الذي تنطق به كل شفة ويتردد على كل لسان، تطرب لسماعه الآذان وتتكحل به الجفون والعيون، تهفو له القلوب وتترنم بهوائه المشاعر. والقلوب تبكي لفراقه، وعيون المهاجرين تتفطر لاحتلاله، هم الباقون والمبعدون من أصحابه، عرب فلسطين.

لم تمض ثانية أو دقيقة خلال قرن من الزمان (من وعد بلفور عام 1917 حتى عامنا هذا 2017) إلا ويذكر اسم فلسطين فيه. أجواء الكون تحمله، وموجات الأثير المسموعة منها والمرئية والمقروءة تنقله، حتى باتت فلسطين تملأ الدنيا وتشغل الناس.

لماذا كانت لفلسطين هذه الأهمية لأصحابها وللعرب والعالم أجمعين؟

- موقعها الذي يصل قارات العالم القديم (آسيا، أوروبا، إفريقيا).
- إنها صلة الوصل بين جناحي العرب في آسيا والجناح العربي الإفريقي.
- تتميز تضاريسها بساحل طوله 240 كم يطل على البحر الأبيض المتوسط، وهو البوابة الواسعة للجزيرة العربية والعراق والأردن وجنوب سورية على البحر المتوسط.
- فيها السهول الخصبة والهضاب المكسوة بالخضرة من نباتات وأشجار برية وزراعات من حبوب وبقول وأشجار مثمرة من كل الأنواع: كروم، زيتون، تين، لوزيات، وحمضيات. إنها أرض السمن والعسل.
- فيها قمم الجبال المكسوة بالثلوج في "الجرمق" و"كنعان" بصفد، وفيها أخفض نقطة في العالم في البحر الميت، والتي تنخفض 435 متراً تحت سطح البحر.
- هي مهبط الأديان السماوية (اليهودية، المسيحية، الإسلام).
- تمازجت فيها الحضارات القديمة: مصرية، كنعانية، بابلية، آشورية، كلدانية، آمورية، يونانية، رومانية، فارسية وغيرهم.
- عبرتها الجيوش الجرارة وجرت فيها المعارك الفاصلة مثل معركتي عين جالوت وحطين.
- التقت فيها البضائع والسلع: الكتان والسكر والقطن المصري مع التوابل الهندية، واللبن والصمغ اليمني، والتمور العراقية، والبروكار الحريري الدمشقي، والسجاد الفارسي، والزجاج الخليلي، والأصبغة الفينيقية.

تقديم

عندما يذكر اسم مروان الماضي، يشعر المرء أنه أمام شخصية مميزة استثنائية من حيث الثقافة الواسعة، والخبرة الحياتية الغزيرة بالمعلومات، وامتلاك أدوات البحث، والنزعة الإنسانية التي تحكمها قيم الحرية والعدالة والمساواة. لهذا كله، تعددت اهتماماته: فهو الأديب، الكاتب، المؤلف، المثقف، الملتزم، المعلم، والتربوي الكبير... إلخ.

كلها اهتمامات تصب في بوتقة واحدة: بوتقة محبة الوطن فلسطين. ففي كل حركة وفعل تبدو فلسطين النازفة ماثلة أمام عينيه، تستحوذ على فكره وعقله وإحساسه. ويدرك الأستاذ مروان أن الوطن فلسطين قد تعرض لأبشع صور الاستعمار الاستيطاني ذي الأيديولوجية الخاصة، وهذا فرض ممارسات استعمارية مثل إزالة القرى من الوجود، ومحو الأسماء، وطمس المعالم، وسرقة الآثار، وتشويه التاريخ، وتزييف الوثائق، ونفي الهوية الوطنية، وإفناء الوجود المادي لأبناء فلسطين. فأصبح الصراع صراع وجود.

وتؤدي هذه الممارسات إلى احتلال الذاكرة. ويدرك الأستاذ مروان الماضي أن احتلال الذاكرة أخطر من احتلال الأرض، على اعتبار أن فقدان الذاكرة هو فقدان الشخصية الفلسطينية: ماضيها، حاضرها، ومن ثم مستقبلها. ولهذا اختار نسقاً خاصاً في الكتابة يتمثل في كتابة التاريخ الجغرافي والاجتماعي والثقافي والسياسي للقرى والمدن الفلسطينية. وهو نسق خاص في التأليف يعتمد على التوثيق والدقة وإجلاء الوثائق، ويهدف إلى شحذ الذاكرة الوطنية الفلسطينية وجعلها حية متوهجة وفاعلة على الدوام. ولهذا، فإن كتاباته تندرج في إطار مواجهة ومجابهة الممارسات الصهيونية، أي تتدرج في إطار أدب المقاومة إذا استخدمنا كلمة "أدب" بالمعنى العام.

ويبدو أن شحذ الذاكرة، وهي مهمة وطنية ملحة في ظل محاولات التذويب والطمس والنفي، كلها فرضت كتابة تتصف بالشمولية. فعندما يكتب عن مدينة أو بلدة مثلاً، نراه يبدأ من التسمية والموقع الجغرافي، ثم ينتقل إلى البعد التاريخي للغزوات والتضحيات، ثم النشاطات الاقتصادية مثل الزراعة وأدواتها، والحياة الثقافية وما تتطلبه من ذكر الأعلام والأدباء والمبدعين والمدارس والتعليم، وللمؤسسات والمراكز الثقافية دورها في إحياء التراث، إلى الفولكلور وغناء ودبكات، إلى مقاومة الظلم وإبراز التضحيات في سبيل الوطن. وكل هذه المحاور ترصع بالصور والخرائط والبيانات الأخرى. ويسعى هذا الجهد التوثيقي العلمي إلى:

- تأكيد الحق للفلسطينيين عبر التاريخ.
- تأكيد خصوصية الشخصية الوطنية.
- الحفاظ على كل شيء (إحياء اللهجة والعادات وكل ما يؤكد ملامح الشخصية الوطنية وقسماتها).

ولا أريد هنا أن ألخص للقارئ ما كتبه المؤلف، لأني حريص على أن يقرأ القارئ ما كتبه المؤلف حتى يشعر بحرارة الإخلاص، والحس الوطني الصادق، والتماهي مع المكان وناسه وتاريخه، وأن يمنح العلم والمعرفة أهمية بارزة وبإيمان يقيني بحق العودة وتحرير فلسطين ووحدة العرب.

د. شكري عزيز الماضي

مقدمة

لقد جاء اختيار الصهاينة عزل أنفسهم عن المجتمع العربي الفلسطيني منذ دخولهم أرض فلسطين. واستخدموا كل الأساليب العنصرية في بناء مجتمعهم الخاص، فأقاموا المستعمرات المغلقة، وبشكل خاص المزارع الجماعية (كيبوتز وموساف). واستطاعوا بناء 50 مستعمرة حتى عام 1935م، واستمروا في تحويل الأراضي فيها لمصلحتهم، ثم أخذ عددها ينمو ويتطور. وكانت هذه المستعمرات هي التشكيل الأساسي لتنظيم زراعي اجتماعي عسكري، ليصبح وسيلة فاعلة من وسائل التحدي للمقاومة العربية، وتكوين مجتمع قادر على حماية نفسه في ظل الخوف الذي جلبه لنفسه من المقاومة العربية. وقد أدى هذا الموقف الانطوائي إلى توسيع الهوة والمسافة الاجتماعية، وزيادة العداء بينهم وبين سلطة الاحتلال والعرب، وترسيخ الكراهية والحقد بين أصحاب أرض فلسطين والغزاة الأغراب الذين جاؤوا ليجعلوا صاحب الأرض غريباً في أرضه.

إن المجتمع الغربي الأوروبي الأمريكي ثم الروسي، الذين اشتركوا في زرع إسرائيل وسط بحر من العرب، الذين يحاربون الوحدة ويرضون الخنوع حتى للبغاث الذي جعلوه نسراً في بلادنا، وحولوا ديارنا نهباً للطامعين حتى باتت جيوشنا تدمر بيوتنا عوضاً عن حماية الوطن، وليس على عدو افتراضي. هل هذا الحماس الأمريكي في مساعدة إسرائيل ومناصرتها ظالمة كانت أو مظلومة، رغم تحديها للمجتمع الدولي حتى أصبحت عبئاً على حلفائها؟ هل وقوف الغرب الاستعماري وعلى رأسهم الولايات المتحدة الأمريكية في خدمة إسرائيل، هل هذا الحماس هو حباً باليهود أم كرهاً بالعرب؟ والجواب عندي هو أن زعماء الصهاينة المفسدين في الأرض إفساداً سرمدياً سيكون سلوكهم مدمراً لهم بعد أن وصلوا في ذروة من الأمل في قوتهم وتباهيهم بما حققوه من طموحات. وإذا لم يعترفوا بظلمهم للعرب، فإن الميزان ليس مستقراً في العالم وسيكون دمارهم على يد من صنعهم، وسيعودون قردة خاسئين إن لم يؤمنوا بالسلام بإقامة دولة علمانية منفتحة تعي السلام مع إخوانهم العرب أمة للمتقين.

المؤلف

الفصل الأول: لمحة جغرافية

الموقع والحدود

يقع النقب بين رفح وبئر السبع شمالاً حتى إيلات (أم الرشراش) جنوباً، وسيناء غرباً، ووادي عربة شرقاً. مساحته 14,000 كم² من مساحة فلسطين المقدرة بـ27,000 كم². تضاريس القسم الشمالي من النقب والمقدرة بـ13,000,000 دونم، أراضٍ صحراوية مؤلفة من رمال وهضاب وسهول، تربتها غالباً من اللوس والغضار، قليل الأمطار، تعيش عليها بعض النباتات العشبية. مناخ النقب بشكل عام حار صيفاً، جاف، قليل الأمطار شتاءً. ويعتبر موقع النقب من المناطق الشهيرة بموقعها المفتوح على البحر غرباً وبين المناطق الداخلية شرقاً كالأردن والسعودية والعراق عن طريق وادي عربة، وذلك عبر آلاف الأعوام والسنين، إذ كانت القوافل التجارية والعسكرية تجوب منطقة النقب ذهاباً وإياباً حتى يومنا هذا. لقد قطن في النقب الكثير من الأقوام والشعوب مثل العموريين والميديين والهكسوس والأدوميين والأنباط. وجاءت الهجرات العربية متتابعة عبر العصور والأزمان، يعيش فيها من القبائل الآن بدو النقب.

صورة التقطت من قمر صناعي لشبه جزيرة سيناء ومنطقة صحراء النقب، جغرافياً جزء من شبه جزيرة سيناء، وهي أوسع مساحة من أرض كنعان التاريخية، تمتد من مدينة بئر السبع حتى مدينة أيلة (إيلات) (بقعة **المرشرش**) على الجانب الغربي من خليج العقبة.

تقع قرية اللقية العربية البدوية شمال مدينة بئر السبع، عدد سكانها حوالي 12000 نسمة، يعتاش أهلها من التجارة وزراعة الأرض. يوجد بها نسبة عالية من المثقفين، أهلها أناس طيبون.

سبب التسمية

تم تسمية اللقية بهذا الاسم لأن شيخ **الأسد** حينها وجدها تلائم المواصفات التي يحبها في الطبيعة، لذا قام بامتلاك الكثير الكثير من الأراضي، حيث أن عائلة الأسد هي أكبر عائلة ملاك أراض هناك. وسميت اللقية نسبة للهجة العامية البدوية

الدارجة بمعنى "التي وجدت". وإن أردت معرفة تاريخ اللقية، فابحث عن تاريخ الأسد. وهناك قول آخر أنها محطة لقاء التجار بين غزة والعريش من جهة، وبيت جبرين والخليل من جهة ثانية.

أما النقب، فهذه المنطقة الشاسعة التي تبلغ مساحتها ما يقارب 13 مليون دونم. أثناء فترة العثمانيين كانت تعتبر منطقة تابعة لسيناء، يحكمها أمراء من قبيلة الترابين وشيوخ قبائل التياها والعزازمة والقديرات والجبارات والحناجرة وقبائل أخرى. لم تكن للدولة العثمانية سيطرة فعلية على النقب حتى عام 1900 عندما أسّس الأتراك قضاء بئر السبع واتخذوا من بلدة بئر السبع مركزاً. أراد الأتراك فصل القبائل البدوية عن قضاء غزة وإنشاء قضاء خاص بهم. وقد اشترت الحكومة العثمانية 1000 دونم من قبيلة العزازمة توزع على البدو للتوطين، وقد اعترفت الحكومة العثمانية بالشيخ حماد باشا الصوفي أمير قبيلة الترابيين كحاكم على قضاء بئر السبع والتياها.

قطنت على أرض النقب 95 عشيرة بدوية مقسمة إلى 7 قبائل، منها أربع قبائل كبيرة العدد وهي: الترابين، التياها، الجبارات، العزازمة، وثلاث قبائل متوسطة العدد هي: الحناجرة، السعيدين، الأحيوات. غالبية هذه القبائل وخاصة الترابين والتياهة والعزازمة كانت تسكن في الجزء الشمالي والغربي والجنوبي من قضاء بئر السبع، وتسيطر على أغلب الأراضي في النقب وسيناء وشرق الأردن وغزة.

إبان نهاية الحكم العثماني لصحراء النقب، في العام 1914، قدر تعداد القبائل البدوية بـ55 ألف نسمة. وفي العام 1922، إبان بداية الانتداب البريطاني لفلسطين، قدرت وثائق أرشيفية بريطانية تعداد سكان النقب من العرب البدو بـ 71 ألف نسمة.
مع قيام دولة إسرائيل في حرب عام 1948، أجبروا على الرحيل قرابة 100 ألف بدوي من منطقة النقب، وتحول أغلبهم إلى لاجئين في مناطق الضفة الغربية خصوصاً مناطق الخليل والأغوار والقدس.

فقد لجأت غالبية بدو النقب إلى الأردن وشبه جزيرة سيناء، وقد عرفوا في الأردن بـ (السبعاوية) نسبة لقضاء بئر السبع. وتضاعفت أعدادهم في الأردن بشكل كبير حتى بلغت المليون نسمة، وفي سيناء وشمال مصر تضاعفت أعدادهم حتى بلغت النصف مليون، فيما حطت أعداد منهم في التجمعات البدوية على امتداد الصحاري الشرقية للضفة الغربية حيث ما زالت العشائر البدوية من بئر السبع وعراد شرقي النقب تعيش هناك.

من حوالي 110,000 بدوي كانوا يعيشون في النقب قبيل عام 1948، لم يبق سوى 11,000 بدوي فيها بعد الحرب، ينحدر منهم جميع البدو سكان النقب الحاليين. بدو النقب الذين أُجبروا على الرحيل لسيناء ولجأوا لقبائلهم في سيناء، سمحت السلطات الإسرائيلية لهم بالعودة عندما سيطرت على شبه جزيرة سيناء عام 1967.

منحت السلطات الإسرائيلية البدو الجنسية الإسرائيلية لكنها لم تعترف بملكيتهم على 13 مليون دونم ولم تعترف بـ 35 قرية.

تعتبر نسبة النمو السكاني بين البدو في النقب الأعلى في العالم كله. تستطيع المرأة البدوية في حياتها إنجاب 12 طفلاً، بالإضافة إلى انتشار تعدّد الزوجات على نطاق واسع. من الناحية الصحية، تعتبر حالات الإصابة بالسرطان بين البدو

الأدنى في إسرائيل والعالم كله. وقد فسر ذلك نتيجة انعزالهم الجيني وعدم اختلاطهم العرقي، إضافة لطعامهم البدوي الذي لا يحتوي مواد حافظة وبقايا المبيدات الكيميائية، والمناخ الصحراوي. السبب الرئيسي للموت بين كبار السن هو مرض السكري.

يبلغ عدد سكان كبرى مدن النقب: مدينة راهط 80.000 نسمة، ومدينة اللقية 15.000 نسمة، وكسيفة 17.000 نسمة، وحورة 16.000 نسمة، وتل السبع 16,000 نسمة، وعرعرة النقب 13.000 نسمة، وشقيب السلام 13,000 نسمة. والبلدات الثلاث عشرة التابعة للمجلس الإقليمي أبو بسمة 40,000 نسمة، في حين يبلغ عدد سكان القرى البدوية (غير المعترف بها) 120,000 نسمة.

مدن وقرى النقب

آثار مدينة عبدة النبطية على قمة جبل في النقب ترجع إلى القرن الأول قبل الميلاد. وإذا تتبعنا العصور الجيولوجية نرى أن البحر تراجع في فلسطين حيث كانت ما تزال جزءاً من شبه القارة العربية النوبية والتي امتدت جنوباً وشرقاً والتي ولدت البرية، وجاء عهد الحيوانات في العصر الحديث وقد تبعه تدفق للحيوانات من شبه أوروبا بارتباط أرضي جنوب شرقي. وفي هذا العصر كانت تعيش في فلسطين والبلقان أنواع من الحيوانات مثل فرس النهر، والخنزير البري، والخنزير المنقط، كما جاءت حيوانات أخرى: الضبع، والكركدن، ومن بينها الخيول والغزلان والذئاب.

وموقع النقب جعله جاذباً للسكن لسببين: أولهما ربط البحر بالداخل عن طريق القوافل وسهولة العبور لتوفر الخانات والواحات والخدمات للمسافرين والتجار والعسكريين. وقد تلاقت فيه حضارات قديمة كثيرة من البشر والمؤن والبضائع. وبقيت هذه النشاطات قائمة وإن تبدلت وسائل النقل من الحيوان إلى العربات والشاحنات والقاطرات حتى الأجواء، رافقت الطرق البرية وظلت مرافقة لها عبر العصور. وكان يشغل هذه النشاطات سكان المنطقة من القبائل والعشائر والتي كانت حياتهم تعتمد على الجمال والبغال والمواشي من أغنام وماعز وأبقار. وقد حاول البعض منهم زرع الأرض ونتاجها من حبوب وبقول، ومن الحيوانات يصنع الألبان من زبدة وأسمان وجبنة كما يستفيد من لحومها.

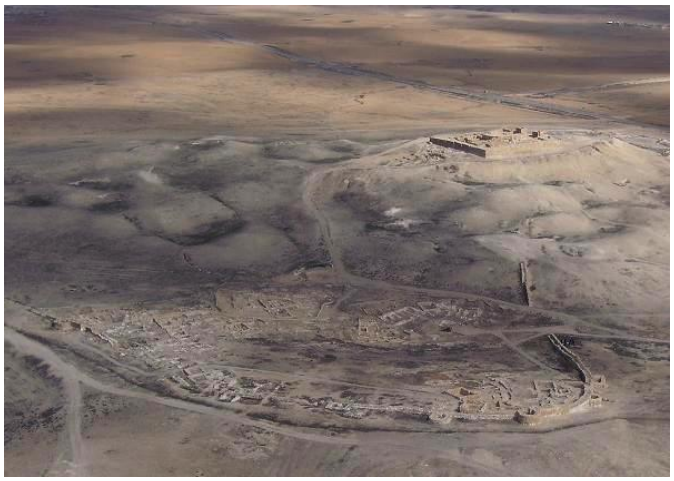

تل عراد يرجع إلى 4000 سنة قبل الميلاد

شجرة الرتم الصحراوية

ولا زالت القبائل والعشائر باقية تحتل النقب كله، وقد تحولت هذه القبائل من عيشة التنقل والترحال إلى الثبات والسكن الدائم، واستقرت في مساكن حجرية أو طينية. وبقي معظم السكان يعيشون عيشة البداوة، وكانت أحوالهم جيدة لشعورهم بملكية الأراضي الواسعة التي كانت توفر لهم المرعى وأغذية المواشي. ولما احتلت الصهيونية فلسطين، حاولت اغتصاب أرضهم وأطماعها التوسعية في السماح لهم برعي مواشيهم في مناطق محدودة، كما أنها أغرتهم بالاستقرار في أراضي كانت اغتصبتها منهم. ونزولاً لإغرائهم، كانت تسمح لهم بشراء دونمات لبناء بيوتهم بسعر رخيص، وكانت تبيع الدونم الواحد بمئة شيكل، وبدأت تزيد حتى وصل سعر الدونم 500,000 شيكل عند بناء أول مدينة راهط، وتهدد الباقين بهدم بيوتهم بحجة عدم الترخيص، بينما استولت على النقب كله والمقدرة مساحته بأربعة ملايين دونم.

أهم القبائل القاطنة في النقب

الترابين، التياها، العزازمة، القديرات، الجبارات، الحناجرة.

أهم النباتات الطبية في النقب

الأكاسيا، الصفصاف، الطلع، الشوح، السيال، العكوب، المشار، عصا الراعي، السمار، الآراك، الحلفا، البردي، الدقل، القصب، الحور، تفاح المجن في قطاع غزة، والمرار، وبعض النباتات الشوكية.

أهم الحيو انات الطبيعية في النقب

الطيور:

ذكر العصفور الدوري

يوجد في فلسطين حوالي خمسمائة نوع من الطيور، ويمكننا القول أن مائة نوع منها مستوطنة على مدار العام، وخمسين نوعاً تستقر في الصيف فقط، كما أن هناك مائة نوع تعتبر طيوراً مارة تمكث أياماً أو أسابيع عديدة ثم ترحل. وتقسم طيور فلسطين إلى مائتين وستة أجناس، أكثرها انتشاراً جنس الزريقة وهي الطيور الهازجة، وجنس الدرسة، والنورس، والأبلق، وخطاف البحر، والصقور الأصيلة.

وتنتمي الأجناس إلى 67 عائلة، وأكبرها الهوازج، والشحرورية، والبطية، والكواسر. وقد جُمعت هذه العائلات في إحدى وعشرين رُتبة. أما الرُتب التي تحوي أكبر عدد من الأنواع فهي: الطيور المُغردة، الزقزاقية، الصفريات، الوزيات. ونظراً لتعدد أنواع الطيور الممكن مشاهدتها في فلسطين، وتنوع مصادرها، يمكننا تقسيمها إلى خمس مجموعات هي:

1. **الطيور المُستوطنة (المقيمة) :**الطيور التي تتوالد وتربي صغارها وتمضي فترة حياتها في فلسطين، ومنها ما يقارب مائة طير مُستوطن مثل **الأسمر (عقاب الرخم)** والصقر الذهبي، ومنها ما هو صغير الحجم مثل العصفور الدوري وعصفور التمر الفلسطيني، كما أن معظم طيور النقب ووادي عربة تعتبر من هذه المجموعة.
2. **الطيور الشتوية (الزائرة) :**الطيور التي تصل إلى فلسطين ما بين شهري أيلول وكانون الأول قادمة من أوروبا، وتغادرها ما بين شهري شباط وآذار. تضع هذه الطيور بيوضها وتربي صغارها في أوروبا وتأتي إلى فلسطين زائرة شتاءً لتعود إلى مواطنها الأصلية بعد انتهاء الفصل. ويصل عدد أنواع الطيور الزائرة حوالي المائة، وأهمها الزرزور والنورس الأسود الرأس؛ وقد لوحظ في السنوات الأخيرة أن بعض أنواعها قد تحولت إلى طيور مُقيمة.
3. **الطيور الصيفية :**الطيور التي يبدأ وصولها إلى فلسطين ما بين شهري شباط وحتى أيلول، ويأتي معظمها من أفريقيا، أما القليل منها فيأتي من الهند. تصل هذه الطيور فلسطين وهي يافعة وتمكث حتى تصل إلى سن البلوغ، ثم تعود إلى مواطنها الأصلية لتبيض وتتكاثر. ويصل عدد أنواعها حوالي الإثنين وسبعين نوعاً منها الذعرة الصفراء، وأبو زريق، والرخمة المصرية.
4. **الطيور المهاجرة الحقيقية :**وهي الطيور التي تعبر فلسطين مرتين سنوياً في طريقها من وإلى إفريقيا وأوروبا ضمن مسار محدد، حيث تمكث عدة أيام أو أسابيع لتعاود الرحيل. ويتراوح عددها ما بين 100-120 نوعاً، ومنها اللقلق الأبيض (أبو سعد)، والذعرة البيضاء وبعض أنواع الطيور الجارحة.
5. **الطيور الشاردة :**وهذه الأنواع على عكس الأنواع السابقة، تزور فلسطين في فترات غير مُنتظمة وليست ذات مسار أو توقيت محدد، حيث يكون ظهورها واختفاؤها مفاجئاً. ومنها ما يقارب 100-130 نوعاً، منها الأوزة الأوروبية، والبجع الصاخب.

ومن الحيوانات الطبيعية: الوعل، الماعز الجبلي، الغزال العربي، النمر، الأرانب، القط العربي، الذئب العربي، ابن آوى، الحصيني، المها العربي، الضبع السوري، قط الأدغال، الوشق، النمس.

والزواحف في النقب هي: الأفاعي، السحالي، الضب، السلاحف، العقارب. ويعاني السجناء العرب في سجون النقب في الصيف من الحشرات والزواحف ما يقلق الأسرى وينغص عليهم حياتهم.

المراجع:

(1)الموسوعة الحرة ويكيبيديا

الفصل الثاني: لمحة تاريخية

النقب وسكانها

تعتبر بلدة اللقية في النقب من المناطق الجاذبة للسكان منذ فجر التاريخ لموقع الأرض وجودة المواصلات وتوفر المياه، فقد سكنها الناس من قديم الزمان. فقد سكنها الكنعانيون قبل ميلاد المسيح بثلاثة آلاف عام، فعمروها وزرعوا أراضيها ودجنوا حيواناتها واستثمروا الدواجن والنحل وصنعوا النبيذ من كرومها، واخترع الفينيقيون أصبغة القماش واحتكروا تجارتها، وكانت فلسطين في زمانهم أرض السمن والعسل.

ومع أن الفترة الكنعانية التي مروا بها في فلسطين كانت طويلة، فإن الاستقرار لم يدم، ولم يتسن للبلدات الكنعانية أن تشكل وحدة أو إقليماً لتشكل دولة، إذ اعتبر الفراعنة فلسطين هي البوابة الرئيسة للعالم القديم وأن كل الغزوات لمصر تأتي منها، لذلك كان همهم بقاء فلسطين تحت نفوذهم، وهذا ما حدث فعلاً إذ بقيت فلسطين تحت حكم الفراعنة مدة طويلة. ولما جاء داود وأسس مملكته لم تبق مستقلة سوى فترتي حكمه وولده سليمان، ثم عادت لتتبع الحكم المصري. تعرضت فلسطين إلى مرور الجيوش الجرارة: كلدان، آشوريون، بابليون، **حثيون** .وتلاقت في أسواقها بضائع الأمم من بلدان كثيرة، وتلاقت الثقافات من لغات: آرامية، وسريانية، وهيروغليفية، وعبرانية، ثم الإغريقية واللاتينية. وبعد ظهور الإسلام أصبحت فلسطين جزءاً لا يتجزأ من الخلافة العربية الإسلامية. وما يهمنا بإيجاز، إذ ازدهرت منطقة الجليل الأدنى في عهد صلاح الدين الأيوبي إذ اتخذ بلدة شفا عمرو مركزاً لقواته، وكان سكان المنطقة يقدمون المؤن والمواد الغذائية لهذه القوات مما حرك التجارة وأنعشها في تلك الفترة.

الخلافة العثمانية و أثرها على الفلسطينيين خاصة والمناطق العربية عامة:

الحكم العثماني

شهدت فلسطين في مطلع هذه الفترة (1517-1800م) انتهاء الحكم المملوكي، إذ كانت المناطق الواقعة إلى الشمال والشرق (بلاد الشام والعراق) باتجاه الأناضول وشرقه منذ مطلع القرن السادس عشر في صراع على النفوذ بين قوى ثلاث: الدولة العثمانية ومركزها الأناضول في إسطنبول والتي امتد نفوذها على البلقان خلال قرنين من حروب توسعية، والدولة الصفوية الناشئة في تبريز والتي حاولت التوسع بدورها وتستقطب من حولها القبائل التركمانية التي تعد عماد قوتها، ثم السلطة المملوكية الهرمة والتي كانت تحكم مصر آنذاك والتي كانت تعاني الكثير من الضعف. وكانت الموقعة الكبيرة الفاصلة بين هذه القوى المتصارعة بزعامة السلطان سليم الأول والدولة الصفوية بزعامة الشاه إسماعيل في (جالديران) قرب تبريز في 2 رجب 920هـ الموافق 23 آب 1514م، إذ انتصر العثمانيون باستخدامهم السلاح الناري الذي لم يعرفه الصفويون. وبعد عامين انتصر العثمانيون في معركة مرج دابق في 22 رجب 922هـ (الموافق 1517م) حيث انتهت السلطة المملوكية التي دامت من عام 1260م وانتهت في مطلع عام 1517م.

اعتمدت الدولة العثمانية في إدارتها للبلاد على الملتزمين الأقوياء، وهم الباب العالي في إسطنبول، وكان همهم هو جمع المال من الضرائب. وكلما التزم بجمع ما أوكل إليه من مال رضيت عنه السلطة وعززت مركزه ومنحتهم الأراضي والبقاع وآزرتهم

بقوات ضد منافسيهم، مما جعل مثل هؤلاء الملزمين يتمردون على السلطة العلية مثل ما حصل مع ظاهر العمر الزيداني وفخر الدين المعني. تمرد الشيخ ظاهر العمر على الباب العالي واستغل كل الظروف الملائمة للسيطرة والانفراد بالحكم، واستعان بأعداء الدولة العثمانية من فرنسا وفرسان مالطة (قراصنة البحر الأبيض المتوسط)، وفتح القنصليات الأجنبية وأعطى الامتيازات لهذه الدول، وشجع الزراعة واحتكر بعضها مثل القطن، وحارب القبائل المعارضة له وقضى على كثير منها. واستطاع تثبيت الحكم بمصاهرة القبائل وتنصيب نفسه على ولاية عكا، لكن الحظ لم يسعده مع أبنائه إذ انقلبوا عليه وتحالف بعضهم مع أعدائه، وكثر أعداؤه وبدأ الضعف يهب في أركان ولايته حتى جاء أجله واغتيل على يد جنوده المغاربة، وانتهت ولايته على عكا التي شملت مناطق واسعة امتدت إلى لواء نابلس وجنين وتجاوزت حتى طبريا وصفد.

ومن إيجابيات حكمه:

1. الاستقرار والأمن: إذ تمتع الناس بالأمن وبشكل خاص المزارعون من أبناء القرى في الجليل: عرابة، سخنين، طمرة، مجد الكروم وغيرها.
2. نمو الزراعة وكثرة المحصول وانتعاش السكان وتنشيط المواصلات.
3. نمو التجارة وتصدير المنتوجات الزراعية مثل القطن والتبغ والحبوب والزيوت. وقد تمتعت منطقة الجليل بدور اقتصادي كبير وسياسي ناشط عبر 75 عاماً وهي فترة حكم الزيادنة. ونحن نعلم أن الزيادنة عاشوا في ربى الجليل الأدنى وترعرعوا في أرض عرابة البطوف.

وفي زمن ولاية أحمد باشا الجزار على عكا، تعرضت منطقة الجليل لركود عام، إذ احتلت قوات بونابرت مناطق واسعة في الجليل الأدنى، فضمرت الزراعة والتجارة وقلت حركة المواطنين بسبب الحرب المتعلقة باحتلال المدينة المحصنة. وبعد فشل الفرنسيين وانسحابهم خائبين، زادت شهرة أحمد الجزار لدى الدولة العثمانية وهابه زعماء آخرون، واستقر الوضع لفترة من الزمن، إذ نقم الفلاحون عليه من كثرة الضرائب والرسوم التي فرضها.

وقد أشار الرحالة الإنكليزي بوكوك في عام 1737 إلى خصب سهل عكا والمناطق المجاورة له في الجليل وغناها بزراعة القمح والقطن، ويقول إن هناك لا يحتاج إلى ري وأنهم اعتادوا زراعة المحصول في أيلول. وشاهد بئراً عند أسفل تلة تقوم عندها قرية البروة حيث تسحب المياه ليس بالدولاب وإنما بدلو يربط بحبل يجره ثور، وتحمل النساء الماء بجرار إلى أعلى التلة لسقاية أغراس التبغ. ووصف بوكوك وادي عبلين بأنه مغطى بالأشجار وبخاصة شجر الخروب، ووصف ذلك السهل الممتد بين إعبلين ومرج ابن عامر بأنه خصب تغطيه مزروعات الحبوب. لقد تأثر سكان المنطقة في حياتهم ومعيشتهم بفقدان الأمن وتعطل اقتصادهم، وتدنت النشاطات وعم الفقر، ورحل السكان بالجملة إلى مناطق مستقرة مثل المدن. وزاد الطين بلة قيام أحداث الحرب العالمية الأولى وما تبعها من آلام وأمراض حصدت الناس بالجملة، تبعها قحط للغلات الزراعية وهجوم الجراد، والجوع قتل الكثير. ومع أن العرب كانوا يدعون الله مخلصين خروج الأتراك من ديارهم، فإن الإنكليز والفرنسيين كانوا متفقين على اقتسام أملاك الدولة العثمانية بمعاهدة سايكس بيكو ووعد بلفور الملعون، ضاربين عرض الحائط وعودهم للشريف حسين بحكم البلاد بعد تحريرها.

خرج الأتراك من بلاد الشام والعراق، واحتلت القوات البريطانية العراق، ووضعت فلسطين والأردن تحت الانتداب. أما فرنسا فقد دخلها غورو بعد طرده للملك فيصل والذي نصبه العرب ملكاً لبلاد الشام في مبايعة قادتها العرب، ولم يستمتع

الرجل بهذا المنصب سوى أشهر معدودة. ثم عينته بريطانيا ملكاً على العراق لكبح غضب القبائل وثورتهم ضدها وتكبيله بمعاهدة ظالمة كلها لصالح الاستعمار البريطاني. كما استدعت الأمير عبد الله إلى حيفا وأعطته إمارة الأردن ليحكمها على أساس عدم التدخل في شؤون الفرنسيين في جنوبها وإسكات المعارضين بشتى الطرق. كما عينت له جلوب باشا قائداً للجيش الذي يؤسسه، فكان ما كان.

حكم البريطانيين لفلسطين: 1918-1948

1. كان هم بريطانيا في فلسطين تنفيذ وعدها الظالم والذي يقوم على اقتلاع شعب من أرضه وإحلال أغراب محله. وقد أتبعت ذلك بالخطوات التالية: تعيين هربرت صموئيل اليهودي مندوباً سامياً لحكم فلسطين وأعطته كل الصلاحيات لإصدار مراسيم وأساليب في الاستيلاء على الأراضي لصالح المؤسسات الصهيونية الناشئة. وقد دعمته بقوات عسكرية.
2. منحت بريطانيا 600 ألف دونم للوكالات الصهيونية، كما ساعدت عدو العرب بما يلي:

- تنظيم الإدارات الصهيونية وإنشاء المؤسسات وتأمين الخبرات ودعمهم بالمعدات وتسهيل نقل ملكية الأراضي إليهم.
- تسهيل الهجرة رغم الاحتجاجات العربية. وقد ماطلت سلطات الانتداب وكذبت على العرب أكثر من مرة، تارة بإصدار كتاب أبيض بمنع الهجرة اليهودية ثم تبطل تنفيذه، وتارة تسعى بوعود كاذبة للعرب تعجيزية لا مجال لتحقيقها.

3. في الزراعة، مارست سلطات الانتداب ما يلي:

- إلغاء قروض البنك العثماني الزراعي.
- تجنيد العاملين في الزراعة في الجيوش العاملة في الحربين العالميتين الأولى والثانية وفي الأغراض العسكرية في إنشاء المعسكرات والموانئ البحرية والجوية وطرق المواصلات البرية.
- قطع الأشجار ومنها بساتين الحمضيات لاستعمالها في الوقود، فتراجع الإنتاج وزادت ديون الفلاحين.
- ألغت سلطات الانتداب كافة القوانين والأنظمة الزراعية والتي كانت تدعم المزارع العربي، مثل قانون الأراضي العثمانية الذي ألغاه المندوب الصهيوني هيربرت صموئيل، والتي تخول كل إنسان زراعة أية أرض موات وتلزم مأمور الأراضي بتسجيلها له مجاناً.
- وقف القروض المباشرة أو عن طريق المصارف، وألغت الكفالة الملكية، الأمر الذي دفع المصارف التجارية إلى الامتناع عن رهن عدد كبير من الأراضي الزراعية، وترك الفلاح الفلسطيني فريسة للمرابين.

كيف حصل الصهاينة على الأراضي في فلسطين؟

- 240,600دونم كان يملكها اليهود في زمن العثمانيين.
- 500,000دونم منحتها حكومة الانتداب من أملاك العرب المسجلة باسم الدولة العثمانية.
- 625,000دونم اشتراها الصهاينة بمساعدة حكومة الانتداب من ملاكها العرب من غير الفلسطينيين (خارج البلاد).

- 261,000دونم حصل عليها الصهاينة خلال الانتداب من ملاكها عرب فلسطين، إما بالشراء بموجب عقود وإما بموجب قانون نزع ملكية الأراضي.

المجموع: 1,806,000 دونم، أي نسبة 6.8% من مساحة فلسطين.

أما الأراضي التي انتزعها الصهاينة من ملاكها العرب المقيمين فيها منذ عام 1948 في الجليل الأعلى والأوسط والجنوبي **6,479,500 :دونم** .وفي عام 1967 وما بعدها انتزع الصهاينة ما يلي من أراضي أصحابها:

- رام الله: 74,750 دونماً، أقاموا عليها 14 مستوطنة.
- أريحا وغور الأردن: 155,000 دونم، أقاموا عليها 19 مستوطنة.
- نابلس، جنين، طولكرم: 24,550 دونماً، أقاموا عليها 19 مستوطنة.
- بيت لحم وبيت ساحور: 85,000 دونم، أقاموا عليها 8 مستوطنات.
- الخليل: 55,650 دونماً، أقاموا عليها 20 مستوطنة.
- قطاع غزة: 200,000 دونم، أقاموا عليها 11 مستوطنة.
- **النقب: 4,000,000 دونم**، وذلك لتوطين 120 ألف إلى 150 ألف مستوطن بعد أن طردوا أصحابها منها عام 1978.
- **ليصبح المجموع 4,456,150 دونماً.**

لم تقدم دولة الانتداب لعرب فلسطين أية مساعدة جادة رغم التظاهرات والاحتجاجات، ووعود بوقف الهجرة سرعان ما تناقضها وتلغيها. ولم تسع إلى إنشاء مؤسسات وإدارات للعرب كما تفعل مع الصهيونية، بل قابلت ثورات عرب فلسطين بالقتل والشنق وهدم بيوت الناشطين في الثورات، إلى جانب تطويق القرى وإخلاء الأهالي من بيوتهم وجمع النساء والأطفال في باحات القرية، وترك الجنود يفتشون البيوت بوحشية: يسكبون المؤن على الأرض ثم يخلطون الزيت مع الملح، والطحين مع البرغل، والسمن مع الحبوب، إلخ. والمهم هو إفقار الناس وإذلالهم. وقد عشت هذه اللوعة وأنا في قريتي اجزم وكان عمري لا يتجاوز خمس سنوات. وقد قتل الانتداب الآلاف من أبناء فلسطين بدعوى مناهضته لهم ومشاريعهم الاستعمارية.

إنني أذكر القارئ الكريم بأن بريطانيا كانت عدوة للعرب بوعد بلفور في تاريخ 2 أكتوبر تشرين أول عام 1917م، وأنها كانت تعمل جاهدة لتنفيذ هذا الوعد ولو على جماجم الضعفاء ودماء الأطفال البريئة. فهي أصل الداء ونشر البلاء لشعب فلسطين. ونحن نرى الآن المنافقين من الدول الغربية وعلى رأسها الولايات المتحدة الأمريكية والتي جعلت الأمم المتحدة مطية لها توظفها لخدمة دولة تمردت على العالم وتمارس ولا تزال تمارس إرهاب أصحاب البلاد بكل أساليب العذاب المنافية للقوانين الدولية والأعراف الإنسانية(1) .

وهذا ما حصل في المجالات الحياتية الأخرى: صناعية، تجارية، واجتماعية. إذ كان هدف الدولة المنتدبة إنشاء دولة إسرائيل ومساعدتها بتكوين مقومات الدولة من جيش جرار ومعسكرات سبق أن أقامتها، ودوائر لكل الوزارات، إذ كانت

دولة الصهاينة تعمل قبل انسحاب بريطانيا عام 1948م على احتلال مدينة وقرية في ظل وجود القوات البريطانية مثل حيفا 22 – نيسان 1948 وغيرها كثير.

لقد تأثر الهيكل الاجتماعي العربي الفلسطيني بشكل واضح تحت الانتداب البريطاني. إن صك الانتداب البريطاني ينص على مساعدة اليهود بإيجاد وطن قومي لهم في فلسطين، وهو وعد بلفور الذي صدر عنه في 1917/10/2م. وقامت بريطانيا بتعيين أول مندوب لها في القدس وهو هيربرت صموئيل اليهودي ومعه مخطط تنفيذ الوعد أكثر نفعاً من وعد اليهود إلى إبراهيم عليه السلام، واستغلوه استغلالاً منظماً ووظفوا كل أساليب الدعاية والإقناع والإرهاب والتزوير لتحقيق أهدافهم. ومنذ بداية الانتداب البريطاني اعتبر العرب أن تدهور الأحوال الاقتصادية هو نتيجة مباشرة للسياسة البريطانية الرامية إلى ذلك. وقد كتب جورج ستيوارت George Stewart حاكم لواء حيفا في أوائل نيسان 1922م إلى تشرشل وزير المستعمرات تقريراً عن انكماش الظروف الاقتصادية وتدهورها وما له من أثر قوي على موجة الاستياء التي تعم مختلف سكان العرب في فلسطين إلى حد تجاوب معه القرويون مع حملات التحريض المضادة للحكومة. ويتابع هذا الحاكم في رسالته ويقول(2) :

"فالأعمال في عكا وشفا عمرو متوقفة، وفي حيفا تكاد تكون جميع أنواع العمل التي تعود بالربح على العرب متدهورة، كما أنه من الواضح أن الحواجز الجمركية في سورية أخذت تقتل الترانزيت، فصاحب الحانوت غير اليهودي للبيع المفرق يكاد يتوقف عن العمل، بل أن الحمالين وغيرهم يمارسون أعمالاً مؤقتة، وقد أخذ بعضهم يتأثر بسبب الأفضلية التي منحت للمؤسسات اليهودية وأصحاب العمل اليهود للمهاجرين الجدد من العمال. إن سكان المدن يعانون من ارتفاع تكاليف المعيشة والدخل شبه معدوم.

أما الطبقات الاجتماعية الأعلى نسبياً كالتجار (الأفندية) فإنهم كادوا يصلون لحالة اليأس، إذ يجدون صعوبة متصاعدة في العيش بمداخيلهم أو بواسطة أية أعمال أخرى، وإن بعضهم يواجه الإفلاس. وليست حالة صاحب الأرض الكبير خيراً من ذلك بكثير، فهو مثقل بالديون وليس في وسعه الحصول على مزيد من القروض، فأسعار الحبوب منخفضة، كما أن الأسواق الخارجية مغلقة عملياً في وجهه، وأنه ليجد من الصعوبة عليه أن يبيع ما يضطر إلى بيعه من الأراضي بسعر معقول. ويرى ساكن المدينة أن ما يعانيه لن يخفف عنه في ظل حالات العجز والبؤس، إنما هو نتيجة مباشرة للسياسة البريطانية وما يترتب عنها من الهجرة اليهودية. أما البدو فإن عليهم إما أن يتحولوا إلى فلاحين أو يهاجروا خارج فلسطين ". (3)

تعليق :إن رسالة جورج ستيوارت حاكم حيفا إلى ونستون تشرشل يمكن إيجازها بجملة واحدة بأن الانتداب البريطاني على فلسطين جاء ليفقر سكانها العرب من أجل سيطرة الصهيونية على فلسطين. وفي هذا الموضوع أقدم للقارئ وصفاً للمؤرخ البريطاني (آرنولد تونبي) في وصفه التكتيك الصهيوني العدواني بقوله:

"إن الأعمال الشريرة التي اقترفها اليهود الصهاينة في حق عرب فلسطين، والتي يمكن مقارنتها بالجرائم التي اقترفها النازيون ضد اليهود، ويمكن تصويرها في ذبح النساء والأطفال والرجال في دير ياسين في 1948/4/9م مما استدعى هروب السكان العرب بأعداد كبيرة من المناطق التي تقع ضمن نطاق زعماء المستعمرات اليهودية المسلحة." ولو أن هذا المؤرخ ما زال حياً

لرأى المجازر التي يرتكبها هذا النظام في أرض العرب: من مجازر مثل مذابح قبية ودير قاسم والطنطورة وجنين وغزة في حرب 1956م وما تبعها حتى الآن، ثم مجزرة بحر البقر في مصر، مروراً بمجزرة قانا، والمذابح التي أشرف عليها شارون في شاتيلا عام 1982م وما أسفرت عنه من آلام واستنكار محلي وعالمي، بينما وقفت حكومات الدول الغربية والولايات المتحدة وكندا تدافع عن هذه الممارسات التي حرمتها الشرائع السماوية ومواثيق الأمم المتحدة. ولا تزال هذه الدول تمارس تأييدها للصهيونية ليس حباً باليهود بل كرهاً بالعرب والدين الإسلامي. وأصبح في عرفهم بأن الذي يدافع عن أرضه وأملاكه إرهابي، والذي يقصف بالصواريخ والطائرات بطل، والذي يقذف المحتل بالحجر أو يطعنه بالسكين يدعى إرهابياً.(4)

المراجع:

(1) الموسوعة الفلسطينية، خاص، ج2، ص 197

(2) الموسوعة الفلسطينية، عام، ج2، 231

(3) الموسوعة الفلسطينية، خاص، ج2، ص 110، أحمد طربين.

(4) الموسوعة الحرة

الفصل الثالث: الحياة الاقتصادية

(زراعة، صناعة، تجارة، سياحة)

الزراعة

مارس الكنعانيون زراعة الزيتون والكروم. وقد عثر علماء الآثار على صهاريج وحفر لعصر الزيتون والعنب في بعض الخرب في الجليل الأدنى، وقد حفرت أنصاف دوائر في الصخر عمق الواحدة 20سم بجانبها حجر مصقول بشكل كرة لهرس الزيتون والعنب. وقد وصف طبيب أخناتون "سنوحي" المصري نشاطات السكان (الكنعانيين) في صناعة الخمور وإبداعاتهم فيها، وكان يتنقل بين المدن والقرى يعالج الناس مجاناً إذ أحبه الشعب وأكرموه. ولما رجع لم ينس هذا الجميل وذكرهم في كتاباته، ويذكر أنه تزوج كنعانية وله أولاد عاشوا في كنف الكنعانيين. الكنعانيون جففوا التين وكانت محاصيله من جملة المحاصيل المهمة، وكانوا يجففونه ويدخرونه كما نفعل هذه الأيام.(1)

الرمان :وكانوا يستخرجون من عصارته نوعاً من الخمر، كما كانوا يلونون معابدهم بالصباغ الذي يستخرج من قشره. ويذهب البعض إلى أن الهكسوس هم الذين أدخلوا زراعته من فلسطين إلى مصر، إلى جانب الخيول والعربات التي تجرها الخيول.

الجميز :ما زال من الأشجار المعروفة، وكان يكثر في الغور، وقد قلت زراعته. وهي أشجار صلبة، وخشبها من أجود الأخشاب، وكانت تقدس في مصر وبلاد العرب.

اهتم الكنعانيون بترقية حالتهم الاقتصادية على أساس زراعة راقية غنية جداً حتى سمي وطنهم (الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً). وقد وصف المصريون خيراته الزراعية في القرن الخامس عشر قبل الميلاد بقولهم (كانت بساتينهم ملآى بالفواكه، ووجدنا أنبذتهم (الخمور) في دنانها كالماء في كثرتها، وكانت حبوبهم في الأجران بعد درسها أكثر من رمال الشاطئ). استخدم الكنعانيون المحراث الخشبي أول الأمر. بعد أن جلب سكان بحر إيجة معهم صناعة الحديد، أخذ الكنعانيون عنهم هذه المهنة وأدخلوها في سكة المحراث (1) الخشبي الذي تجره الحيوانات. ومن الصناعات التي أبدع بها الكنعانيون صناعة الفخار بكل أنواعه، ثم الزجاج بكل أشكاله ونماذجه. لقد أتقن الكنعانيون مهنة البناء وبرعوا فيها، كما قام الفينيقيون، وهم كنعانيو الأصل، بتجارة الأصبغة وأبدعوا في صباغة القماش وأدخلوا كل الألوان وزخرفتها.

المحراث الخشبي

يتبجح صهاينة اليوم بأنهم رواد الحضارات وبناة العلم والمعرفة، وينكرون حضارات من سبقوهم كعادتهم في طمس الحضارات الأخرى. وأذكر القارئ بما كتبه علماء الآثار عن الكنعانيين وفضلهم على بني إسرائيل.

يقول غوستاف لوبون: "ولما دخل اليهود إلى فلسطين وجدوا مدنها وقراها ومزارعها، وكان معظمها بلدات صغيرة ومبعثرة لا تجمعها وحدة، وقد وجدوا بيوتاً مملوءة بالخيرات، فالمدن كانت عظيمة لم يسوروها، وآباراً محفورة، وأشجاراً مغروسة لم يغرسوها. وتعلموا من الكنعانيين العرب الزراعة واقتبسوا منهم مئات التقاليد والأعراف، منها على سبيل المثال: صناعة الفخار، والخبز بالتنور، وصنع الخمور، وتربية النحل، وصنع الثياب، إذ كانت ملابسهم تسير حسب الطراز الكنعاني، وكان ملوكهم يلبسون قميصاً طويلاً من نوع خاص، كما كان قضاتهم يلبسون نفس القميص". ويتابع غوستاف لوبون: "ومن المعروف اليوم أن اليهود كانوا أقل تمدناً ورقياً من الكنعانيين، والذين أخذوا عنهم الكثير من حضاراتهم وثقافاتهم وآدابهم وكتاباتهم وطقوسهم الدينية".(2)

ويتابع غوستاف لوبون ويقول: "لم يكن لليهود من فنون ولا علوم ولا صناعة ولا أي شيء حضاري. واليهود لم يساهموا بأية مساعدة في إغناء البشرية، ولم يتجاوزوا قط مرحلة الأمم المتوحشة والتي ليس لها تاريخ. ولما سار لليهود مدناً في نهاية الأمر، كانوا غاية في العجز من أن يقيموا بأنفسهم مدنهم ومعابدهم وقصورهم، وقد اضطروا في إبان حكم سليمان إلى الاستعانة بالخارج فجلبوا البنائين والفنيين والعمال، ولم يكن بين هؤلاء إسرائيلي واحد".

ويقول سيغموند فرويد، عالم النفس اليهودي: "وفي الأسر البابلي، بقي اليهود سبعين سنة، وتعرف هذه الحقبة بالسبي البابلي، إذ تغيرت أثناءها أحوالهم ونشأ فيهم جيل جديد يختلف عن الأجيال السابقة، فتغير لسانهم وتنوعت آدابهم وتأثروا وتخلقوا بالبابلية. لقد شعر اليهود بالأسر وهم في بابل بأنهم نكرات بين شعوب لها حضارات أصيلة في بلاد ما بين النهرين، فتولد عندهم عقدة النقص. وعندما بدأ الحاخامات ورجال الدين كتابة التوراة، نسبوا لأنفسهم كل عظيم." ويقول المؤرخ فيليب حتي: "ظل الناس حتى وقت قريب يجهلون حقيقة ما قدمه الكنعانيون إلى العبرية من لغة وفنون وعمارة وزراعة وأدب وصناعة. وكانت طقوس الهيكل تستدعي العزف على آلات موسيقية، وكان الموسيقيون الأول في الهيكل كنعانيين في أشخاصهم وتدريبهم. وعندما بدأ داود بالموسيقى العبرانية المقدسة ورقاها سليمان من بعده، لم يكن بين النماذج الغنائية ما يمكن اتباعه سوى النموذج الكنعاني". ويتابع حتي أن الختان أخذوه عن الكنعانيين الذين مارسوه في تقديم الأضاحي

لإلههم فينوس إله الخصب، وكان الرجل يقطع حلمة بشره ليقدمها على المذبح، وكذلك الفتاة العذراء كانت تُفض بكارتها لتقدم الدم للمذبح أيضاً، فأخذوا هذه العادات ومارسوها وباتت شعاراً دينياً عندهم."

ويقول العالم بروستد: "لا يخفى على أحد أن المدن الكنعانية كانت ذات حضارة قديمة نشأت منذ منتصف ألف وخمسمائة سنة قبل الميلاد. كانت بيوتهم متقنة حوت العديد من أسباب الراحة والرفاهية، إلى جانب الصناعة والتجارة ومعرفة الكتابة ومعارف هامة. حضارة اقتبسها أولئك العبرانيون من السكان الكنعانيين"، لأنهم لم يستطيعوا أن يعيشوا بمعزل عنهم. وقد أحدث الاختلاط تغييرات كثيرة بين الطرفين تجلت في حياة العبرانيين، فغادر بعضهم سكنى الخيام وشرعوا ببناء مساكنهم كبيوت الكنعانيين، وخلعوا عنهم الجلود التي كانوا يلبسونها ولبسوا عوضاً عنها الثياب الكنعانية المصنوعة من الصوف الزاهي. وبعد زمن معين، لم يعد التفريق بينهم وبين الكنعانيين الذين ساكنوهم ممكناً، كما هو حال المهاجرين العرب إلى أمريكا إذ ينخرطون في مجتمعهم ويكتسبون عاداتهم وتقاليدهم وثقافاتهم.(3)

نحن لا ننكر ما وصل إليه اليهود في العالم وما حدث لهم من ظلم الشعوب لهم عبر التاريخ، إذ تعرضوا للقهر والإهانة وبشكل خاص في القرون الوسطى. وهم يعترفون وكتابهم عبروا بكتبهم بأن السلم والرخاء الذي تمتعوا به في ظل المسلمين لم يجدوه في أي شعب ساكنوه، إذ كانوا نكرات بين الشعوب الأوروبية بينما احتضنهم العرب في الأندلس وتعاملوا معهم بإنسانية وإخاء، حتى في العهد العثماني فقد احتلوا مراكز رفيعة في الدولة. أما الآن فقد قلبت الصهيونية هذا النموذج من المحبة والإخاء إلى عداوة همجية، إذ تحالفت مع الاستعمار الأوروبي والإمبريالية الأمريكية.

اهتم الكنعانيون بترقية حالتهم الاقتصادية على أساس زراعة راقية غنية جداً حتى سمي وطنهم (الأرض التي تفيض لبناً وعسلاً). وقد وصف المصريون خيرات فلسطين الزراعية في القرن الخامس عشر قبل الميلاد بقولهم (كانت بساتينهم ملآى بالفواكه، ووجدنا أنبذتهم (الخمور) في دنانها كالماء في كثرتها، وكانت حبوبهم في الأجران بعد درسها أكثر من رمال الشاطئ).(4)

استخدم الكنعانيون المحراث الخشبي أول الأمر. بعد أن جلب سكان بحر إيجة معهم صناعة الحديد، أخذ الكنعانيون عنهم هذه المهنة وأدخلوها في سكة المحراث الخشبي الذي تجره الحيوانات. ومن الصناعات التي أبدع بها الكنعانيون صناعة الفخار بكل أنواعه، ثم الزجاج بكل أشكاله ونماذجه. لقد أتقن الكنعانيون مهنة البناء وبرعوا فيها، كما قام الفينيقيون، وهم كنعانيو الأصل، بتجارة الأصبغة وأبدعوا في صباغة القماش وأدخلوا كل الألوان وزخرفتها بكل الفنون التي لم يعرفها أحد قبلهم. ومع أن الفترة الكنعانية التي مروا بها في فلسطين كانت طويلة، فإن الاستقرار لم يدم، ولم يتسن للبلدات الكنعانية أن تشكل وحدة أو إقليماً لتشكل دولة، إذ اعتبر الفراعنة فلسطين هي البوابة الرئيسة للعالم القديم وأن كل الغزوات لمصر تأتي منها، لذلك كان همهم بقاء فلسطين تحت نفوذهم، وهذا ما حدث فعلاً إذ بقيت فلسطين تحت حكم الفراعنة مدة طويلة. ولما جاء داود وأسس مملكته لم تبق مستقلة سوى فترتي حكمه وولده سليمان، ثم عادت لتتبع الحكم المصري.

تعرضت فلسطين إلى مرور الجيوش الجرارة: كلدان، آشوريون، بابليون، **حثيون** .وتلاقت في أسواقها بضائع الأمم من بلدان كثيرة، وتلاقت الثقافات من لغات: آرامية، وسريانية، وهيروغليفية، وعبرانية، ثم الإغريقية واللاتينية. وبعد ظهور

الإسلام أصبحت فلسطين جزءاً لا يتجزأ من الخلافة العربية الإسلامية. وما يهمنا هو الإيجاز، وازدهرت منطقة الجليل الأدنى في عهد صلاح الدين الأيوبي إذ اتخذ بلدة شفا عمرو مركزاً لقواته، وكان سكان المنطقة يقدمون المؤن والمواد الغذائية لهذه القوات مما حرك التجارة وأنعشها في تلك الفترة.(5)

وجاء الرومان وحكموا كل البلاد الواقعة شرق البحر الأبيض المتوسط، فزرعوا الأراضي الواسعة وبنوا القنوات وجروها لتروي المزارع والثغور، وتركوا آثارهم التي حافظ عليها العرب والمسلمون وطوروها وأدخلوها إلى قصورهم وبيوتهم، ولم ندع بأننا الذين أنشأناها وبنيناها. واليونان جاءوا وحكموا وتركوا مدناً عمروها وسكنوها ولا زالت تحمل ما سموها به، ولم ندع أننا من أقامها وعزز بنيانها، ولا زالت تحمل مثل هذه المدن آثارهم وتتغنى بها مثل الإسكندرية وغيرها الكثير. وجاء العرب والمسلمون وحكموها وتركوا مآثر سكانية وحضارة اقتصادية وثقافية ومعارف وعلوم، يشهد لهم التاريخ في نشرها وتعليم العالم دون تمييز. وجاء الصليبيون واحتلوا بلاد الشام بحجة استعادة القدس من المسلمين، وقسموا البلاد على أمرائهم وعاثوا فساداً، ودمروا أماكن عبادة المسلمين، وقتلوا ونهبوا ما طاب لهم من غنائم بحقد لئيم، ولم يتذكروا سياسة الديانات السماوية وكيف عاملهم المسلمون عند احتلال القدس، حتى عندما أعاد صلاح الدين مدينة القدس ترك لأهلها البقاء أو الخروج منها. واستطاع الظاهر بيبرس إخراج الصليبيين من بلاد الشام نهائياً، وتلاها بهزيمة التتار بمعركة عين جالوت بفلسطين، وهي آخر معركة لهم في بلاد الشام، وخرجوا مهزومين لم يتركوا سوى الخراب والدمار وقبور من قتلوهم في تعطشهم للدماء. وتعرضت البلاد إلى حكم المماليك وكان منهم الجيد ومنهم الضعيف، وقد ترك الجيدون الكثير من الآثار العلمية والتي أمدت العالم بالمعارف والخبرات العلمية من تقدم في الطب والفنون والفلسفة وعلم الكلام. وبقيت بلاد العرب تحت حكم العثمانيين أربعة قرون، أوقفت الدولة الحاكمة كل تقدم. وبينما كانت أوروبا تنهض بكل مقومات التقدم والحضارة، فإن الوطن العربي والإسلامي ظل في سبات عميق وضعف قاتل وفقر مدقع، وهمّ الباب العالي هو جمع المال ولو على جماجم الضعفاء ودماء الأطفال البريئة. فتعاون الأحرار العرب مع الشريف حسين الذي أعلن الثورة ضد السلطة العثمانية بالتعاون مع الحلفاء في الحرب العالمية الأولى، وطردوا العثمانيين من بلادهم ليجدوا حلفاءهم المستعمرين من فرنسا وبريطانيا والصهيونية، وقد اقتسموا البلاد فيما بينهم: فرنسا احتلت سورية ولبنان، وبريطانيا الغدارة بانتدابها على فلسطين والأردن والعراق لتنفيذ وعد بلفور وإقامة الدولة القومية لليهود في فلسطين. وقد اعتمد الأتراك سياسة فرق تسد، واندلع الصراع بين العائلات في أكثر من منطقة، وقد استغل الانتداب البريطاني لفلسطين هذه السياسة المدمرة ومارسها بشكل وحشي لا أخلاقي في تمزيق الوحدة. وقد تبعتها إسرائيل في فلسطين المحتلة وزادت عليها بحقها الأسطوري في نهب بيوت العرب في فلسطين وتشريدهم، واستولت على أملاكهم من عقارات وأثاث وأراضي بمراسيم سلطة غاشمة استغلت مناصرة الاستعمار وأمريكا في الأوساط الدولية.

فلسطين تحت الانتداب

أما الطبقات الاجتماعية الأعلى نسبياً كالتجار (الأفندية) فإنهم كادوا يصلون لحالة اليأس، إذ يجدون صعوبة متصاعدة في العيش بمداخيلهم أو بواسطة أية أعمال أخرى، وإن بعضهم يواجه الإفلاس. وليست حالة صاحب الأرض الكبير خيراً من ذلك بكثير، فهو مثقل بالديون وليس في وسعه الحصول على مزيد من القروض، فأسعار الحبوب منخفضة، كما أن الأسواق الخارجية مغلقة عملياً في وجهه، وأنه ليجد من الصعوبة عليه أن يبيع ما يضطر إلى بيعه من الأراضي بسعر

معقول. ويرى ساكن المدينة أن ما يعانيه لن يخفف عنه في ظل حالات العجز والبؤس، إنما هو نتيجة مباشرة للسياسة البريطانية وما يترتب عنها من الهجرة اليهودية. أما البدو فإن عليهم إما أن يتحولوا إلى فلاحين أو يهاجروا خارج فلسطين.

التهجير القسري

كما هي حال كل الأراضي الفلسطينية ببلداتها العريقة، يعمل الاحتلال على عمليّة هدمٍ لدفع سكانها الأصليين إلى الرحيل القسري بين الحين والآخر، وذلك لإقامة مشاريع استيطانية، مثل: شقّ أو توسعة الطرق، أو إقامة محميّات طبيعية وغيرها لصالح الاستيطان والمستوطنات المحيطة. هناك عدّة طرق تُستخدم للتضييق على سكان القرية وتهجيرهم منها قسراً، مثل: هدم المحال التجارية، تجريف الأراضي، إنشاء مشاريع دون الأخذ بعين الاعتبار السكان الأصليين للأرض، وتوسعة الطرق، وشقّ طرق أخرى، وإقامة معسكرات تدريبية أو مناطق عسكرية، إضافة إلى نقل المكاتب الأمنية إلى المنطقة تحت ادّعاء أنّ هذا يوفّر فرص عمل لسكان النقب.

يسعى الاحتلال إلى إضعاف الاقتصاد العربيّ بفتح المجال أمام الصندوق القومي اليهودي للسيطرة عليه، وتجريف وتحريش المنطقة، وذلك وسط سعي دؤوب لدفع بدو اللّقية، قدوة بباقي أهل المنطقة. مما أدّى إلى اندلاع هبة النقب في سبيل الدّفاع عنها، إذ اعتقلت الشّرطة الإسرائيلية العشرات من المواطنين على إثرها. الهدف هو تجميع البدو في النّقب وتركيزهم في مناطق محدودة يسهل السيطرة عليهم، بعدّة حجج كإقامة مشاريع خدماتية.

المراجع:

(1) أزمة فلسطين بين الحقائق والتزوير، ص87، مروان الماضي.

(2) العرب واليهود في التاريخ، أحمد سوسة.

(3) الموسوعة الفلسطينية، مجلد 2، خاص، ص 110، أحمد طربين.

(4) الموسوعة الحرة، ويكيبيديا.

(5) الموجز الإحصائي لقرى عربية.

الفصل الرابع

المدارس والتعليم وأعلام اللقية في النقب

لقد مر على بلدة اللقية حين من الدهر طغى فيه الجهل والأمية على أهلها زمن الحكم العثماني والذي طال أربعة قرون، إذ لم يكن في القرية فتاة تعرف القراءة والكتابة. وقد ذكر الكتاب السنوي لوزارة المعارف العثمانية عام 1319هـ الموافق عام 1901م ما يلي: "وفي قرى الجليل الوارد اسمها فيها مدرسة ابتدائية للذكور فقط، أغلبها للصفوف الرابع والأول والثاني في غرفة، والثالث والرابع في غرفة صف أخرى". وهي: مجد الكروم، جديدة الدامون، الزيب، البصة، الغابسية، يركا، كويكات، عمقا، شعب، سخنين، عرابة البطوف، نحف، دير حنا، طمرة، سحماتا. وقد اقتصر التعليم على الذكور في المرحلة الابتدائية، بينما كان البعض من الأهالي يرسلون أبناءهم لإكمال دراساتهم في المدرسة الأحمدية بجامع الجزار بعكا التي اقتصر التعليم فيها على مادتي اللغة العربية والدين إلى بعض المعلومات في الحساب (العمليات الأربع). وكان الموسرون من الناس كالتجار وملاك الأراضي يرسلون أولادهم إلى المدن مثل الرشيدية في القدس وحيفا، أو مدرسة عنبر بدمشق، أو إلى القاهرة في الأزهر. وكان البعض يرسلون أبناءهم إلى إسطنبول والجامعة الأمريكية في بيروت. وتم بعد ذلك افتتاح المدارس في العقد الثاني والثالث من القرن العشرين، واتسعت المدارس وتعددت وشملت البنات والبنين، وقد توفر فيها من المدارس والمؤسسات التعليمية. لقد تم القضاء على الأمية في البلدة. ولإعطاء فكرة عن تقصير السلطات العثمانية في التعليم، يمكن عرض بعض الأمثلة التي أجراها الدكتور عبد الكريم رافق عن التعليم في قضاء عكا كمثال عنه في جميع ألوية فلسطين وما أكثرها:

المكان	طلاب ذكور	طالبات
قصبة	70	63
قرية مجد الكروم	40	-
قرية يركا	35	-
قرية كويكات	40	-
قرية عمقا	28	-
قرية الجديدة	35	-

عدد المكاتب (المدارس) في سنجق عكا 1894/189(1)

وهنا نجد الإناث وقد حُرمن من التعليم بشكل كلي، كما يدل على نسبة الطلاب الضئيلة في جميع البلاد وأقضيتها. وفي دراسة للدكتور عبد الكريم رافق عن طريق السالنامات التي صدرت عن دائرة المعارف العثمانية، عثر على جدول رقم (5-7) للعام الدراسي 1311هـ / 1892-1894م يقول بأن عدد طلاب قرية البروة 40 طالباً في المرحلة الابتدائية وليس للبنات حظ. (2) وكان أهالي القرى في قضاء جنين يرغبون بتعليم أبنائهم. وفي أواخر العهد العثماني بلغ عدد المدارس في القرى 30 مدرسة، أي عندما أدرك أهالي قباطية وعلي، إحدى قرى القضاء، أنه لا يمكن إدارة مدرستهم بمعلم واحد، قاموا بتعيين ثلاثة معلمين آخرين على حسابهم، ودفعوا لواحد منهم 3 جنيهات ولكل من الإثنين الآخرين جنيهين، كما كانوا يقدمون لهم مؤنهم السنوية. وفي العام الدراسي 1944/1943 بلغ عدد المدارس الرسمية في قضاء جنين 23 مدرسة ضمت حوالي 2,557 طالباً يعلمهم 65 معلماً، منهم أحد عشر معلماً يدفع القرويون رواتبهم، كما بلغ عدد الطالبات في مدارس البنات ...**طالبة**، وكان في كل من تلك المدارس معلمة واحدة. (3) وتجدر الإشارة هنا إلى ارتفاع نسبة التعليم في قرية الزبابدة التي يكاد يعرف جميع رجالها القراءة والكتابة، وقد كان فيها في عهد العثمانيين أربع مدارس أجنبية: مدرستان أسسهما الإنكليز إحداهما للبنين وأخرى للبنات، ومدرستان أسسهما الفرنسيون. وفي عهد الانتداب البريطاني كان فيها أربع مدارس أهلية: واحدة للبنين وثلاث للبنات، ولكن لم تنشأ بها مدارس حكومية.

وميزانية التعليم زمن الانتداب البريطاني كانت هزيلة إذا قارناها بميزانية الأشغال العامة أو الشرطة. بينما كانت ميزانية دائرة المعارف تمثل:

المؤسسة	السنة	النسبة المئوية للميزانية العامة
الأشغال العامة	1941	%48
الشرطة والسجون	1943	%26
المؤسسة العسكرية	1945	%20
دائرة المعارف	1947	%3

من دراسة الجدول نرى ضآلة ميزانية المعارف للتعليم، وكان الأهالي يدفعون من أموالهم سنوياً حوالي 176,000 جنيه فلسطيني لبناء صفوف وتوظيف معلمين، لأن هم الحكومة البريطانية صاحبة وعد بلفور لم يتعدَ تكلفة تعمير فلسطين خلال حكمها البلاد. وهناك مثالان على ما أقول: أولهما بناء ميناء حيفا الذي كلف الخزينة البريطانية ثلاثة ملايين وأربعمائة ألف جنيه أسترليني (وقيمة الجنيه الإسترليني في ذلك الوقت ليرة ذهب جورجية)، إلى جانب بناء مصفاة البترول في حيفا، ومد الطرق المعبدة بين المدن والسكك الحديدية، ومحطة اللد، ومطار اللد، ومطار القدس المدني، إلى جانب المعتقلات والسجون ومؤسسات الشرطة ومعداتها، إلى جانب المعسكرات التي كانت تحوي 8000 جندي دخلوا الحرب الكونية الثانية. وفي العهد الأردني، مع انضمام الضفة الغربية للحكم الأردني، أصبح التعليم واجباً مقدساً، وبادر المواطنون في الأخذ بمعالم الحضارة، فطلبوا العلم وأخذوه من كل أطرافه، وزادت طموحاتهم في تولي الريادة، فظهر منهم العباقرة

والمبدعون، ولفتوا أنظار العالم في نشاطاتهم التربوية والصحية والاقتصادية والسياسية والعسكرية، فنشروا العلم في الدول المجاورة والأجنبية. واستغلهم الغريب وأبعدهم القريب، ولم يجدوا القيادة الرشيدة تحتضنهم وترعاهم. أنا لا أعتز بقدرة أبنائنا جزافاً وتعصباً، فالأرقام تشهد بتفوق أعداد أبناء فلسطين في الهندسة والطب والعلوم بأنواعها التجارية والمخترعين، حتى والرأسماليين، ينقصهم الوحدة والتضامن في رسم خطوط الريادة وقيادة الشعب العربي المبتلى بالقطرية البغيضة. وقد تسرب فيها زعماء سفهاء أضاعوا أنفسهم وشعوبهم لعدوهم الذي يعمل على إذلالهم وتوظيفهم توظيفاً وحشياً في شراء أسلحتهم لتدمير بعضهم، وسرقة بترولهم، وخلق أعداء افتراضيين. وغاب عنهم القول "الاتحاد قوة"، وبات أصحابها يتفاعلون مع بيئاتهم المحلية منها القريبة والبعيدة، إذ تجد العيادات الطبية بكل اختصاصاتها، يتبعها المستوصف الطبي العائد للمجلس المحلي، ومركزاً للأمن، والمؤسسات الخدمية من كهرباء ومياه ونظافة. كما يوجد مكاتب المحامين والمهندسين والجمعيات الخيرية والنوادي الرياضية، إلى جانب كراجات السفر ومكاتب التأمين وفرع البنوك. وتم إنشاء المدارس في البلدة في مراحلها الثلاث، واتسعت الأبنية لتتسع الصفوف لأكثر من 6,460 طالباً وطالبة. منها: لقد أصبحت بلادنا العربية منفرة للسكن، وجعلت أبناءها يتوزعون يجوبون بلاد العالم لتأويهم وتحميهم من حكامهم. وقد أضاع السفهاء من الحكام مال بلادهم كما أضاعوا فلذات أكبادهم التي تمشي على الأرض. وبات المواطن غريباً في وطنه، والأمن مفقود، والحرية ضائعة، والغذاء محرم على الأفواه الجائعة، والفضيلة شوهها المنافقون، ومال الفرد حلال لغيره. ولم يبق للإنسانية معنى سوى تشويه معالمها وتغيير معانيها. وبكل صراحة أقول أن أبناء الشعب العربي يعيشون في غابة الوحوش الكاسرة.

تخدم بلدة اللقية ستة مدارس ابتدائية، وخمسة مدارس إعدادية، ومدرسة ثانوية، ومدرسة شاملة. نسبة الطّلاب المتسربين من المدارس 1.51%. بحسب دائرة الإحصاء المركزية لعام 2021، تبلغ نسبة مستحقّي شهادة الثانوية 55.3%، والمنخرطين بالتّعليم الأكاديميّ. وهذه النسبة تبين مستوى عالٍ من التعليم والوعي.

تعد بلدة اللقية في النقب من القرى البدوية الهامة التي صمدت تاريخياً، وتشتهر بعائلاتها العريقة وعشائرها مثل: الصانع (الذين عادوا بعد تهجير عام 1953)، الطلالقة، الأسد، الحجوج، الدبسان، أبو عبدون، أبو عايش، النصاصرة، والبدور. تعتبر مركزاً تجارياً تاريخياً على طريق العطور القديم.

أبرز الشخصيات وأعلام العشائر في اللقية

- الشيخ سلمان عبد الكريم الصانع: من الشخصيات البارزة.
- الشيخ حسن الصانع: من الشخصيات العشائرية المعروفة.
- الشيخ فراج الأسد: من شخصيات البلدة.
- الحج حسين محمد أبو بدر: من وجهاء المنطقة.
- الحج أحمد محمد أبو بدر: من وجهاء المنطقة.
- حسن رافع غنيم (أبو رافع): من الشخصيات المحلية.

المراجع:

(1) فلسطين في العهد العثماني، عبد الكريم رافق.

(2) العرب واليهود في التاريخ، د. أحمد سوسة.

(3) ويكيبيديا.

الفصل الخامس: الفولولكور الشعبي

(السكن، الديوان، التقويم الشعبي، الطب الشعبي، التفاؤل، التشاؤم، والتعاون، والألعاب)

الطب الشعبي

للطب الشعبي حصته الكبيرة في تكوين المعتقدات حيال النباتات الطبية، وربما كان للمعتقدات الأثر الواضح في طقوس الطب الشعبي وعلاجه، والأمثلة كثيرة. ففي النباتات والمعتقدات: تروي عجائز القرى الإسلامية عن (الدالية) أن الأسد سقاها ثم سقاها الطاووس، فالقرد، فالخنزير، وعندئذ صار من يشرب من عصيرها شرساً كالأسد، متكبراً مثل الطاووس، وثرثاراً كالقرد، أو نجساً كالخنزير. وابن آوى حيوان محتال يبلغ مبتغاه في المأثور الشعبي بذكائه وحيلته.

الثعبان: أنجس الحيوانات إطلاقاً في المعتقدات الشعبية، وذلك أن إبليس تخفى في جلده ليدخل الجنة. ويعتقدون أن الحية خالدة لا تموت لأنها تجدد جلدها كل سنة. وتحرم المعتقدات الشعبية قتل السحلية، فإذا قتلها أحد ظل ذنبها يتحرك ويدعو على القاتل.

الحرباء :غير محببة لأنها متلونة مثل المنافق. وأخبث الحشرات أم أربعة وأربعين، إذ يضرب بها المثل بالمكر والخبث.

شجرة الرمان: المباركة، ولها سلطان على الأرواح الشريرة، وكثيراً ما تجمع براعمها وتنظم في قلادة تعلق على صدور الأطفال.

شجرة الزيتون: شجرة مبجلة موقرة في فلسطين لأنهم يعتقدون أن ولياً يسكنها. ويروى عن قريتي عاقر والنعاني أن عدداً من أشجار الزيتون تشاهد حولها ظواهر غريبة ليلة الخميس، وتسمع موسيقى غير مألوفة، وإذا هبت الريح من حولها سمعت أصوات تردد "الله الله."

أما بالنسبة للوقاية والعلاج الشعبي:

- يقولون: "درهم وقاية خير من قنطار علاج."
- "عصب إصبعك مليح لا يعمل ولا يتقيح."
- "إن وجعك رأسك أكرمه، وإن وجعك بطنك أحرمه."
- "كل من الكافر ولا تأكل مع طويل الأظافر."

إن الطب الشعبي يلزم العلاج، وكانوا يعتمدون على ذوي الخبرة من الناس وأدوات التشطيب لإخراج الدم الفاسد: كاسات الهواء، وفصد الدم من الوريد، أو مسمار الكي. والقصب البري يجبر الكسور، وكذلك مزج الأعشاب كدواء. وللبثور يستخدم زيت السيرج (زيت السمسم)، والقطران، والكبريت، وزيت الزيتون، والحناء المجبولة بالماء والطحينة.

المثل يقول إن الإنسان ابن بيئته، إن كانت البيئة صحراوية، أو صخرية، أم طينية. فالمأوى هو أول ما كان يشغل بال البشر واهتماماتهم. ففي مرحلة الصيد كان يحاول بناء العرائش إن كان في الغابة، أو الكهوف إن كان في الجبال، وفي الخيام إن

كان في الصحراء. وبالقياس، إن كان في أرض ليس فيها صخور أو أخشاب حاول الالتجاء إلى البيوت المقببة المخروطية مستخدماً الطين فقط. أما في الوقت الحاضر فإن الحديد والإسمنت وبناء العقود أصبحت هي المسيطرة في الأبنية. وقد تعامل الإنسان مع الحيوانات ودجنها، وقد ترك لنا حكمة في بعضها من خير أو شر. ولا زال بعض الناس يتفاءلون ببعضها ويتشاءمون ببعضها الآخر، ومنها على سبيل المثال لا الحصر: بأن الكلب هو الحارس الأمين، وكذلك المواشي والخيول، ومن الطيور كلها ما عدا البومة والغراب. ثم الأفاعي والعقارب والدبور فإنها عدوة للإنسان. وهذه المسلمات بقيت تتداول بين الأجيال حتى يومنا هذا بين السكان.

وشجرة الزيتون في عرف أهل فلسطين موقرة لأنهم يعتقدون أن ولياً يسكنها. ويروى أن أهل قريتي النعاني وعاقر أن أشجار الزيزفون نشاهد حولها ظواهر غريبة ليلة الخميس، وتسمع موسيقى غير مألوفة، ونرى أنواراً تتحرك بين الأشجار. والكرمة والرمان ليستا وحدهما من نباتات الحياة، إذ أنها توسم ببعض القدسية، ولها سلطان على الأرواح الشريرة، وكثيراً ما تجمع زهراتها وتنظم في قلادة تعلق على صدور الأولاد.(1)

وشجرة التفلة (الدفلة): تقدس ولا يسمح بالنوم تحتها، ويعاقب من يقطعها. وإذا هبت الريح من حول هذه الشجيرات سمعت أصوات تردد "الله الله." ويقولون للبخيل (أبو كمونة) لأن رأس ثمرة الكمون مغلق مثل يد البخيل. ويقدمون شجرة الزيتون وبخاصة التي بجوار الصخرة المشرفة، ويقال إنها نبتت من نواة رماها الرسول عندما أسري به. **وأما شجرة الميرمية** :يقال إن مريم العذراء جلست في أثناء هربها إلى مصر مع يوسف والطفل، وكانت متعبة تحت ظل شجرة الميرمية، فقطعت منها غصناً مسحت به العرق عن جبينها فانتعشت برائحتها، فقالت للشجرة "أنت مباركة إلى الأبد."

لذلك تحب النساء في فلسطين هذه العشبة ويؤمن بمنفعتها الصحية، ويبخرن بها البيوت لإبعاد الأمراض. وهي تستخدم مع نباتات أخرى لتبخير الطفل المريض. ويؤمن بأن أكل الصعتر (الزعتر) ينبه الدماغ، فيطعمونه لأولادهم قبل ذهابهم للمدرسة... أما بالنسبة للوقاية والعلاج، فإن سكان شفا عمرو يشاركون إخوانهم الفلسطينيين بالأمثلة والأحاديث وهي لا تحصى.

فالوقاية طب قائم هذه الأيام يغني عن العلاج ويقي من الأمراض، ويعرف بالطب الوقائي، والأقوال المأثورة مثل: "عصب اصبعك مليح لا يعمل ولا يقيح". أما عن الحمية فالمثل يقول: "إن وجعك رأسك أكرمه، وإن وجعك بطنك احرمه"، "كل مع الكافر ولا تأكل مع طويل الظافر"، "العمل والاجتهاد صحيان"، "والشغل يجوهر البدن"، "إن قل الضأن فعليك بالقطاني"، "البيت الذي تدخله الشمس لا يدخله طبيب" ...إلخ.

أما الطب الشعبي فيقول لعلاج البثور: زيت السيرج (زيت السمسم) والقطران. وللجرب: الكبريت وزيت الزيتون. ولتشقق أصابع الرجلين: الحناء المجبولة بالماء والطحينة. ولتسلخ الجلد: تراب أبيض يسمى تراب رشق (أي كلس أو شيد). ويعالجون السعال بنبات البابونج. وحتى يدر البول يغلون الشعير وماء البقدونس. والرشح يدهنون صدر المريض بالزيت الحامي ويسقونه البابونج والزوفا. وفي الإسهال يسقى المريض الزعتر المغلي أو الشاي الثقيل. وللإمساك ينقعون بذور الخلة في الماء ويشربونه. والنزف يعالج بأوراق الطيون أو رماد السجائر أو بوضع البن على الجرح. والحرق يرش عليه ملح أو نيلة أو يدهن بالطحينة. ويستخدمون كاسات الهواء للنزلات الشعبية الصدرية، وتشطيب الأذنين لضربة الشمس(1) .

وفي أكتوبر تشرين أول تجف مياه الآبار فيسارعون إلى تنظيفها من الأوساخ قبل الشتاء ويقولون عن بداية السنة الزراعية الجديدة (في عيد لد) (شد يا فلاح شد ما بقي للشتاء فعد).

أما أشهر **كو انين** (فهن فحول الشتاء والأرض)، والفحول رمز الإخصاب، ويقولون (بيكسب من مطر كانون مثل ما بتكسب الحرمة من الرجل) ويوصف كانون بأنه فحل السنة أو محلها. أما شهر شباط فهو غير مستقر (شباط الخباط ما عليه رباط). أما **المسترضات** فإنها جاءت في قصة العجوز وغنماتها، والقصة تقول: أنه مرت سنة ولم ينزل المطر، فسمع شباط هذه العجوز وهي تقول (راح شباط ودسينا في عجزه المخباط) فغضب شباط وقال لأخيه آذار: يا ابن عمي أقرضني ثلاثة أيام من عندك وأربعة مني حتى نغرق هذه العجوز وغنماتها). هذا ما قرأته وأكتبه، لكن القصة تروى بشكل آخر فالاتفاق صحيح لكن القصة تقول: يا ابن عمي أقرضني ثلاثة ومني أربعة حتى نجعل العجوز تحرق دولابها، أي لم يبق للعجوز من الوقود إلا دولابها الذي تغزل به وتعتاش من شدة البرد.

أما الربيع فهو العشب، ويؤمنون بأن العشب يبقى أسير **المربعانية** .وخمسينات الشتاء تبدأ أول شباط وتنتهي في الثاني والعشرين من آذار، وتقسم هذه الفترة إلى أربعة أقسام من يوم واحد إلى 12.5 يوم. ويقال (سعد ذابح) وهي فترة باردة، ويقال في القصة أن أربعة أخوة كانوا مسافرين وخلالها مات ثلاثة منهم من البرد ولم ينج سوى الأسعد الذي ذبح ناقته واختبأ فيها. ثم سعد بلع (بلع كل ما فوق الأرض) 13-25 شباط، وسعد السعود (بذوب المية في العمود) من 28 شباط -10 آذار إذ تستعيد النباتات الحياة وتتفتح البراعم. سعد الخبايا ويقولون (بتطلع الخبايا وبتتنقل الصبايا) حتى 22 مارس. أما بالنسبة للأمطار ورصدها: يراقب الفلاح في قلقيلية الظواهر الجوية لأنها دليله إلى معرفة الطقس، وقد يكون قوس قزح علامة على أن المطر غير محتمل فيقولون (إن قوست باكر احمل عصاك وسافر، وإن قوست عشية شوفلك مغارة دفية). أما الرياح فهي ضرورية، وفي ذلك يقولون (ما مطر بلا رياح ولا نوم بلا صباح) ويقولون أيضاً (إن هبت غربي يا سعد قلبي). ويتفاءل الفلاح من هجرة الطيور إلى فلسطين، ففي بداية الشتاء يقال (سنة الحمام أفرش ونام) فلا تنفع الحراثة لأن الموسم رديء، بينما قدوم طير الزرزور يدل على موسم جيد (سنة الزرزور أحرث في البور). وسنة طير القطا (نام بلا غطا) فلا برد ولا زرع ولا مطر.

ولابد من ذكر بعض معتقدات البدو وعاداتهم التي تأصلت بهم، نذكر بعضها:

- يعتقد بعض علماء الأنثروبولوجيا والتاريخ القديم أن أسطورة قابيل وهابيل تمثيل لقتال الأخوين: قابيل البدوي وهابيل المزارع المستقر. يعني أن المزارع يزدري البدوي على مر العصور وينسب إليه الإغارة على المستقرات الزراعية والسلب والنهب والقتل. والبدوي لا يجتهد في رد التهمة، وكثيراً ما يترك مواشيه ترعى في زرع القرويين فتنفلت وينشب القتال. ويقول القرويون في هذا: "فش أثقل من دم البدوي"، "لا تدل البدوي على باب دارك". لأن البدوي الذي تعود شظف العيش، يجتذبه اجتماع الخير للمزارع في مزرعته ومخازنه ويستمرئ طعامه إذا ذاقه.
- لا يحب البدوي قضاء الدولة وأحكامها. فمن يسرق من أجل أبنائه لا يلام. فالمزارع يهمه الاستقرار والأمان بينما البدوي يهمه التنقل والترحال والغزوات. ومن شرائعهم في القتل أن يجاز لأهل القتيل في فورة دمهم قتل أي فرد من عشيرة القاتل أو نهب ما شاءوا من المواشي والمتاع، ولم يجيزوا قط الاعتداء على النساء.

- لا تستشر العذارى في تزويجها، أما الأرملة أو المطلقة فلها أن تختار بنفسها. وإذا طلق البدوي زوجته فلا ينطق بكلمات التطليق بل يقول لها "فلان كفيل طلاقك"، أو "نفسي طالعة منك."
- أما اللهجات فهي تختلف في بعض الحروف مثل القاف. فإن قرى حيفا تنفرد بتضخيم حرف القاف كأهل قرية الطيرة وصفورية والروز. وعلى سبيل المثال أحكي للقارئ الكريم قصة عن طيراوي لجأ هو وعائلته إلى مخيم النيرب بحلب، ونزل الشاب إلى المدينة يستطلع معالمها، وبعد أن ناله التعب وهو في سوق حلب، دخل محلاً للبوظة والرز بالحليب، وجلس على الطاولة وطلب من النادل وهو شاب صغير قائلاً: "جيبلي ستية بحتة وزلفة وكماجة" ومعناها: اجلب لي صحن رز بحليب ويقال له "بحتة" بالطيرة، أما "الزلفة" فهي الملعقة، و"الكماجة" رغيف خبز. فسأله النادل: ماذا طلبت سيدي؟ أعاد له طلبه، وذهب الولد إلى المعلم قائلاً: "معلمي شوف هذا الأجنبي شو بدو؟" فجاء المعلم وعرف مطلبه وأحضره له.

وهناك حرف آخر يلفظه سكان قرى حيفا وجنوبها من الأقضية وهو حرف الكاف، فيلفظونه "تش" مثلاً: "كعكة" تصبح "تشعشة"، و"القلب" "التشلب". ويقال عنها لهجة التشتشة: "سكر ستشر"، "بارد مسكع". وعندما يتألم الإنسان في قلبه يقول: "آه يا تشلبي". وهذه اللهجة يشترك بها أعداد كبيرة من قرى جنوب حيفا مروراً بقضاء طولكرم وجنين ويافا وبعض قرى نابلس، ورام الله حتى بيت حنينا والقرى المجاورة لها في قضاء القدس. أما في مدينة الناصرة فيقلبون الكاف إلى "آ" مثل "كلسات" تصبح "آلسات". أما في أيامنا هذه فقد زالت الأمية بين أبناء فلسطين وأصبحت اللغة العربية الرسمية هي صمام الأمان لوحدة اللغة واللهجات، وتوحدت ولم يبق من اللهجات البالية سوى القليل عند بعض الأميين وكبار السن.

الحرف اليدوية :احتكمت الحرف اليدوية إلى الطبيعة لتتخذ منها مواردها الخام، وإلى حاجة الإنسان لسد حاجاته بمصنوعاتها. وقد شهدت أريحا حرفة صنع الحصير من القصب في الأزمنة الغابرة، ولا يزال إلى اليوم في المدينة حرفيون يعملون في مختلف الحرف من نسيج إلى مفروشات وغيرها بعد عشرة آلاف سنة من الحضارة التي لم تنقطع أسبابها.

ويعالجون السعال بنبات البابونج، وحتى لإدرار البول يغلون الشعير وماء البقدونس. والرشح يدهنون الصدر بالزيت الحامي ويسقى المريض البابونج والزوفا. وفي الإسهال يسقى المريض الزعتر المغلي أو الشاي الثقيل. وللإمساك ينقعون بذر الخلة في الماء ويشربونه.

أما العلاج الديني:

طاسة الرعبة: وهو إناء على شكل كأس مقعر واسع الفم مصنوع من النحاس أو معادن أخرى، منقوش عليه سورة من القرآن على الغالب (آية الكرسي أو المعوذات)، ويوضع فيه ماء غير معرض للشمس ويسقى المرعوب أو المريض. وفي بعض الكاسات ينقش عليها (بإذن الله تشفي هذه الكأس من السموم). وبعض الكاسات توحي بالأبراج السماوية، لأن لكل إنسان برج حسب مولده، وأحياناً لا يعرف أي برج ينتمي إليه، لذلك فإن الشرب من الطاسة يضمن المرء لأي برج ينتمي. وعلى ذكر الأبراج، فإنها تختلف في ميقاتها حسب الأشهر الشمسية والقمرية، وأعتقد أن الناس هذه الأيام يأخذون بأسماء الأشهر الشمسية.

وإني أسهل للقارئ حفظ أسماء الأبراج القمرية ببيتي الشعر: حمل الثور جوزة السرطان ورعى الليث سنبل الميزان وزنوا عقرباً وقوساً بجدي ومن الدلو مشرب الحيتان.

ومن الأمثال في الطعام :يعتقد الفلسطينيون بأن الطعام قسمة ونصيب، وأن المرء لا يأكل إلا ما قسم الله له. لذلك هناك أقوال شائعة كثيرة في الطعام، منها:

- اعزم والزم، والأكل نصيب. وأحياناً يتأخر شخص عن الوليمة فيأكل شخص آخر طعامه وهو غير مدعو، ويقال عندها: "ما حدا يوكل نصيب حدا."
- "ما بيوكل طعام حدا."
- قيل للمدعو: زد، فيجيب: أكلت اللي فيه نصيب.
- والأمثلة حول الطعام كثيرة، منها على سبيل الإيجاز:
- "يلعن الشارب قبل الطالب" (أدب الانتظار).
- "غب غب الجمال وقم أول الرجال."
- "اطعم الفم تستحي العين."
- "إن غاب عنك السمن فعليك بالزيت" (للقناعة بالموجود).
- "الله يطعم الحمص للي مالوش سنان."
- "طلبتها المشتهية وأكلتها المستحية."
- "اللي بدو ياكل عسل يصبر على قرص النحل."
- "اللي عنده قمح يقرضوه طحين."

في التقويم الشعبي

(الجيد منه والمكروه من الحيوان)

إن الأقوال والأمثال الشعبية تقسم إلى قسمين تبعاً لفصلي الصيف والشتاء .**التقويم** هو بداية السنة في عرف الفلاحين ويبدأ في 14/أيلول وهو عيد الصليب، لأنهم ينهون فيه الحصاد والقطاف ويبدأ الموسم الجديد، وتهب رياح شرقية يسميها الفلاحون شراقي الصليب أو شراقي الخريف. وهذه الرياح هي الرياح الفاصلة بين الصيف والشتاء، وتأتي في العادة في أواخر شهر أيلول، لذلك يطلق المثل القائل (أيلول طرفه مبلول). وإذا هطلت الأمطار يقولون (الموسم بدري). إذا بدأت المطرة الشرقية قبل طلوع الشمس فسرعان ما تتلاشى، وإذا ما بدأت بعد طلوع الشمس فتأثيرها يستمر ثلاثة أيام. ويتشاءم الناس بالرياح الشرقية لأنها تجفف الجلد والوجه، ويقولون في سنة الشراقي (بتدور وما بتلاقي) أي لا خير فيها.

ويبدأ المطر في هذا الموسم مبكراً ويسمونها (شتوة المساطيح) لأنها تنزل على سطوح العشب الذي يبلونه بالماء والزبيب إذ ينشرونه حتى يجف. ولكل من الثلاثة الأولى الممطرة أسماء: كما يقولون الأولى والثانية والثالثة (يوم فتوح)، ويوم الرابع والخامس والسادس (يوم انبوح)، ويوم السابع والثامن والتاسع (يوم منوح) أي شتاء جديد في تفسير البعض. وفي هذا الموعد يبرد الطقس ويقول الناس (ما لك صيفيات بعد الصليبيات) ويقولون (إن أبرقت على الصليب ما بتغيب). وفي

شمال فلسطين في الجليل يقولون عند البرق بأنه علامة المطر: (عند البرق الدنيا بتخبط). وأما إذا أبرقت وأرعدت (زواريبها طرطقت). ويقولون عن المحاصيل: متى صلبت خربت، أي أن الطمر بعد الصليب يخرب الزرع. ويعتبرون الثالث من تشرين الثاني هو التقويم فيقولون (يودع العنب والتين السنة). وفي أكتوبر تشرين أول تجف مياه الآبار فيسارعون إلى تنظيفها من الأوساخ قبل الشتاء ويقولون عن بداية السنة الزراعية الجديدة (في عيد لد: شد يا فلاح شد ما بقي للشتاء فعد). أما أشهر **كوانين** (فهن فحول الشتاء والأرض)، والفحول رمز الإخصاب فيقولون (بيكسب من مطر كانون مثل ما بتكسب الحرمة من الرجل). ويوصف كانون بأنه فحل السنة أو محلها. أما شهر شباط فهو غير مستقر (شباط الخباط ما عليه رباط). أما **المسترضات** فإنها جاءت في قصة العجوز وغنماتها، والقصة تقول: أنه مرت سنة ولم ينزل مطر، فسمع شباط العجوز تقول (راح شباط ودسينا في عجزه المخباط). فغضب شباط وقال لأخيه آذار: أقرضني ثلاثة أيام ومن عندي أربعة حتى نجعل العجوز تحرق دولابها، أي لم يبق للعجوز من الوقود تحرقه من شدة البرد سوى دولابها الذي تغزل منه لتعتاش.

أما الربيع فهو فصل العشب يبقى أسير **المربعانية** .وخمسينات الشتاء تبدأ أول شباط وتنتهي في الثاني والعشرين من آذار، وتقسم هذه الفترة إلى أربعة أقسام.

ومن الألعاب التي يعتاد القرويون ممارستها، وما أكثرها، منها مثلاً:

1) لعبة الطابة: تصنع من القماش وتحشى بالقطن والصوف أو بقماش ممزق وتخاط، ثم يأخذها الأولاد ويحمل كل منهم عصا طويلة ويتنافسوا على سحب الكرة إلى المرمى وهي حفرة يدخل فيها الكرة ليفوز.
2) لعبة الغميضة: تتم القرعة على من يبدأ اللعب، وتعصب عيناه وله الخيار بأن يعثر على غيره من اللاعبين ويمسك به. (لعبة الغمامة).
3) لعبة العصا والعصا المثبتة في ثقب حجر ثقيل. من يستطيع ضرب العصا المثبتة فيكسرها أو يزحزح الحجر المثبتة به يكون الفائز.
4) لعبة البرش الرواح: وهي لعبة متطورة، تؤخذ الطابة المطاطية بيد اللاعب، واللاعب الثاني بيده عصا مفلطحة النهاية، يقذف حامل الكرة الكرة للأعلى فيضربها الآخر فتطير الكرة في الجو وعليه الركض ليمسك بها. وهذه كانت لعبة الكبار.
5) لعبة القفز العرضاني: وهي حفرة مستطيلة فيها رمل أو تراب، يتنافس الأولاد بالقفز، ومن يزداد طولاً في قفزته يكون الفائز.
6) مسابقات الركض: وهي السائدة بين اللعب، ومن يفوز في قطع المسافات يكون الفائز.
7) القفز العالي: يمد حبل بين عمودين بارتفاع معين، فإن كان الولد عمره ست سنوات يثبت الحبل على ارتفاع 30 سم، وإن كان عمره فوق ذلك يرتفع الحبل حسب الطلب. أما في الوقت الحالي فإن اللعبة تطورت إلى درجة كبيرة من التقنيات.
8) لعبة المنة: وهي عامة يلعبها الأولاد طيلة العام. ولعبها يتم كالآتي: يؤخذ عود من غصن شجرة طوله مسطرة (20-30سم)، ويوضع على حجر بشكل مائل بحيث يكون ثلثه بارزاً للأعلى، ويقوم اللاعب ويضرب الطرف البارز من العود بعصاه فيطير العود في الهواء ويبعده عن الفريق المنافس. وإذا التقطه هذا الفريق صارت اللعبة لهم.

9) لعبة المنقلة: يقتصر لعبها على اثنين من اللاعبين. وهي لوحة من الخشب يتراوح طولها بين 40-50 سم، محفورة بأربع عشرة حفرة مقسومة إلى قسمين، كل صف سبع حفر. ويوضع في كل حفرة 7 حبات من عجم الزيتون أو حجر رسوبي بحجم حبة الفول. ويبدأ اللعب عادةً الأكبر سناً، إذ يأخذ اللاعب الحبات السبع من إحدى حفر صفه ويوزعها على الحفر الخاصة بصفه مبتدئاً من اليسار إلى اليمين. وعندما ينتهي، يبدأ اللاعب الثاني في اختيار الحبات التي تكون في الحفرة التي من جهته ويوزعها هو الآخر، ويضع في كل حفرة حبة واحدة كما فعل اللاعب السابق. وهكذا، عندما يوزع الحبات، إذا كانت آخر حبة في حفرة تحتوي على حبة واحدة فيربحها (أي يأخذ الحبتين). وإذا كانت آخر حبة في حفرة تحوي 3 حبات أيضاً يربح أربع حبات. أما إذا كانت آخر حبة في حفرة تحوي أكثر من اثنتين أو أربع، فلا يربح. ويستمر اللعب حتى لا تبقى أية حبة في الحفر، وعندها ينتهي اللعب.

وقد اختلفت الألعاب هذه الأيام كلياً. وإلى جانب الألعاب الرياضية من كرة قدم إلى الكرة الطائرة والتنس والقفز العالي والعريض وسباق الماراثون وغيرها من ألعاب القوى، فقد انحصرت هذه الألعاب في النوادي والمؤسسات النظامية، وصار لها ملاعب خاصة ومسابح ومراكز رياضية خاصة أيضاً.

وباتت التجمعات الرياضية مصدر رزق تدر على أصحابها الأموال الباهظة والسمعة الراقية والتقدم الاجتماعي المرغوب فيه.

وضع المرأة في الماضي والحاضر:

في الماضي كانت المرأة مسؤولة عن متطلبات بيت الأسرة من طعام. فهي تعد رغيف الخبز عن طريق عجن الطحين من قمح وذرة وخبزه على الصاج أو الطابون والتنور. إذ تعد الموقد فيه الخشب ليسخن الصاج، أو الغاز والكيروسين للتنور والطابون، واستخدام الجفت (وهو مخلفات عصر الزيتون) والمخلوط مع رماد يحيط بقالب الطابون المصنوع من الفخار المشوي، يتم فيه الخبيز وصواني اللحم وطبخات متنوعة. والطابون بحاجة للوقود طيلة الأيام، بينما غُيبت هذه الظاهرة في أيامنا، وصار الخبز يتم في أفران خاصة تعمل على الغاز بكميات كبيرة وأواني ضخمة، إنتاجها يذهب إلى المحلات التجارية لبيعه للناس. أما الطعام للأسرة، فإن ربة البيت تقوم بإعداد الطعام من حبوب وبقول وخضار ولحوم.

وفي كثير من الأحيان كانت هذه المواد متوفرة في البيت نفسه: ف العدس والحمص والفول والطحين متوفر في البيت مخزوناً في خوابي وجرار وأكياس قنب. واللحم والبيض متوفر أيضاً بوجود الدواجن والحمام. والزيوت والزبدة والسمن كلها متوفرة مخزونة. وتقوم ربة البيت بتأمين الأكل بجهدها الخاص، كما تقوم بإطعام الدواجن وتأمين الملجأ لها وتنظيف أوكارها. وكانت المرأة تجمع بيض الدجاج وتأخذ حاجتها، والباقي تبيعه لتاجر البيض الجوال، كما تبيع ما تريد من فراريج وحمام زغاليل، وتؤمن المال اللازم لشراء القماش والملبوسات.

كانت ربة البيت في الماضي تعيش مع الشقاء فعلاً، ومع ذلك كانت راضية. والنشيطة عند فراغها كانت تقوم بصناعة أوعية القش من أدوات تصنعها من سيقان القمح والشعير: كأطباق القش على أنواعها الصغير والكبير، إلى جانب القبعة وهي إناء مصنوع من القش يتسع لعدة أرطال من الحبوب والبقول، ثم الترويجة وهو إناء من القش أيضاً توضع فيه خميرة العجين القادمة، وهناك المشكول وهو إناء مثل القبعة وله يد، وهو بمثابة حقائب النساء في ذلك الزمان. وبعض النساء

كنت أراهن يصنعن الصابون من الزيت العكر مع الصودا، إلى جانب صناعة المربيات من دبس الخروب والرب ودبس العنب ومربيات السفرجل، وتجفيف البامية والملوخية والكوسا والباذنجان والزعتر وغيرها كثير.

وكانت المرأة في الماضي القريب تعمل في وقت فراغها بشغل الإبرة لصناعة الكنزات وتطريز الثياب. وقد تطورت هذه الصناعة إلى حرف تدر على أصحابها المال الوفير، مما زاد الإقبال على اقتناء هذه المصنوعات، وباتت تمثل الفولكلور الفلسطيني حقاً. وتطورت إلى شركات تصدر إنتاجها للخارج، واشتهرت رام الله والبيرة وبيت لحم بهذه الصناعات عالمياً، ورفعت من شأن أبناء وبنات فلسطين، وبشكل خاص النماذج الخشبية المحفورة بأنواعها وتطعيمها بالصدف مختلف الأحجام والألوان.

لقد جاء عصر المرأة الحديث ليزيح عنها التعب والشقاء، وتنعم بما قدمه العلم لها من عون، لتشارك الرجل كسب العيش للأولاد والأحفاد.

قطوية

المراجع:

(1) نوتات باسم المساكن أملاها علينا الدكتور أنور النعمان في السنة الثانية، جغرافيا.

(2) الموسوعة الفلسطينية، خاص، ج4، فكتور سحاب، خاص 662.

(3) الفولكلور الفلسطيني، ج2، نمر سرحان.

(4) الموسوعة الحرة.

الفصل السادس

الفولكلور الفلسطيني في بلدة اللقية

(الأغاني والغناء - الزواج - الولادة والألعاب)

الغناء و أنواعه ومعانيه

الغناء :هو صناعة في أداء الألحان المصحوبة بالكلام الدال على المعاني. وتشترك الأمم في العادة على اختلاف فطرتها وتطورها الحضاري، والظاهرة الطبيعية إذ أن حنجرة الإنسان تتكون من أوتار متفاوتة. والفرد العربي غناؤه بطريقة فطرية لا شعورية تجعل أوتار صوته تهتز على مداها الكامل، فيصدر الصوت وكأنه خارج من الصدر، ويلقب مثل هذا الصوت تكتيكياً بالصوت الصدري. أما الغربيون فيختلفون بطريقة مدروسة، يهتز بها أجزاء من أوتار الحنجرة فقط مع ارتخاء في الحلق وتنفس من الأنف، ويعرف هذا الصوت بصوت الرأس. وقد حدد خبراء الفن أنواع الأغاني العربية بما يلي:

1) التحنين: أغاني للحجاج.
2) الندب: تقوم به نساء محترفات، تعبر عن الحزن.
3) المطوعة: أغنية الزفاف للمرأة البدوية.
4) القصيدة: ذات القافية الواحدة في الطرفين الثالث والرابع.
5) الموال: على نوعين (موال مصري وموال بغدادي).
6) العتابا: اعتبرها موالاً ذا أربعة سطور.
7) الهلابا: شطران ينتهيان بكلمة هلابا، كذلك مطالع المعنى والقريدي.
8) الجعيدي: نسبة لشاعر مصري معروف بجعيد.
9) الزجل: ومن مميزاته إعطاء الكلمة الأخيرة في الشعر عنوانه، مثل الميجانا، موليا، زينه، هويدلي.
10) الترويد: تعني في الأعراس، ولدى البدو، وعند حلب المواشي.
11) الحداء: غناء أثناء رعي أو قافلة الجمال.
12) أهلالا: وتغنى في الكروم، كما تشمل الشوباش ثم الزغردة، وتقال (إيها) في شمال فلسطين و(آيها) في جنوبها.(1)

اللبنانية أو العراقية: زريف الطول، مرمر زماني .... وغيرها. ومن العراقية: الموال البغدادي والميجانا. ومن البدوية: وإن أكثرها انتشاراً من الأغاني في كل القرى بفلسطين هي الدلعونة، وتأتي على طريقتين في الأداء يلتزم بأحدها عازف الناي أو المجوز أو الربابة المنفرد.

أما فيما يتعلق بالمغني، فلا بد أن يكون ذا موهبة موسيقية وحس مرهف وقدرة على الارتجال لحناً وتضميناً. وبالنظر إلى عدم وجود مكبرات الصوت قديماً، كان المفروض أن يكون المغني صوته عالياً جهورياً قوياً. ومن مؤهلات المغني أيضاً أن يكون ذا ذاكرة قوية يحفظ الكثير من الأغاني والأشعار. وفي الأعراس عادةً يبرز إلى الساحة شاعران للمناظرة والتحدي

حول موضوع معين مثل الفلاحة والمدنية، والبيضة والسمرة، والعلم والمال، والكرم والبخل، والسيف والقلم وغيرها، والكثير منها ما يحدث في السحجة.

وقد تكون الخلفيات الاجتماعية للأغنية الشعبية نابعة من ظروف المجتمع وعاداته وتقاليده من البداوة إلى الزراعة وحياة المدن، إذ تبين العادات التي تركز على الأسرة كوحدة تقليدية. فالأسرة تعتز بأمجادها وتحاول دوماً أن تحتكر المكانة الاجتماعية في مجتمعها، كما أنها تعتز بصلاتها الدموية وتماسكها الوحيد ضمن إطارها (أنا وابن عمي على الغريب). والزواج بنظرهم هو اتحاد بين أسرتين أكثر مما هو اتحاد الزوجين، وتحتل عصبيات الأقارب القائمة على تفضيل ابن العم حتى على ابن الخالة وما ينتج عنه من مشاكل وإضاعة للفرص المفضلة للعروسين، فيما ترك لهما حق الاختيار.

ابن العم يا شعر على ظهري إن حال الموت لا رده على عمري

ابن العم يا نوبي علينا إن حال الموت لا رده بأيدينا

وفي حال زوج الأب ابنته من غير ابن عمها طمعاً منه بمهر أكبر، فتقول الأغنية:

يا ابن العم يا كومة تراب يا إبن العم أخذوهم الغراب

يا ابن العم رميتك للضبوع بنات العم أخذتهم السبوعة

والفلاح يشارك جاره في السراء والضراء متمنياً الخير لجاره: "والجار أولى بالشفعة، الجار ولو جار"، وقيل: "من أدرى بحالك؟"، والجواب: "ربك وجارك."

وتغني النسوة عادة فيزغردن ويقلن:

ها هي يا جار المجاورني
ها هي يا جار الرضى، ما انت جار خواني
ها هي ما انت طلاع على حيطان جاراتك

وعصبية الجاه والمركز وآثارها الاجتماعية، إذ أن للطبقة أثرها في الفرد الفلسطيني. وأغلب الأسر الفلسطينية كانت في الماضي تعيش على هامش الحياة الزراعية، وهناك طبقات من الأثرياء والتجار وملاكي الأراضي والعقارات. وكثيراً ما تشير الأغاني الشعبية إلى هذه الفروق، فيتباهى أصحاب الجاه بما لهم من نفوذ، كما تتفاخر نساؤهن بلبسهن الثمين، ويقال:

يا بو العروس نلبس ملوكي، لفت عليك الأمارة والدراويش

ريدونا ريدونا، نسايب لا تزعلونا

عادتنا نلبس شنابر، ما تناسب إلا الأكابر

ردونا ردونا، نسايب لا تزعلونا

إن أغلب الأغاني الشعبية في منطقة المثلث متشابهة ومتكاملة وكذلك مفردات الفولكلور الفلسطيني، لأن الجذور واحدة والمنطقة مشتركة والعادات متكاملة كمّاً ونوعاً. وعن الغربة الطويلة يقولون:

وأغمس ريشتي في قلب قلبي وأدمي وجه مغتصبي بحد سكيني

وإن كسر الردى ظهري وضعت مكانه صوان حطين

وتأكيداً على الهوية الفلسطينية يدعو معين بسيسو إلى الحذر:

يا جلدنا حذار، يا وجهنا حذار

يا وجهاً الذي أراه كلما استدار، وكلما أوشك أن يصير بدراً

أطلقوا عليه النار

وصورة الوطن لسميح القاسم وهي متعددة، إحداها:

قامرت في ملهى السنين خسرت جوهرتي الفريدة في مزاد الآخرين

وبكيت في أسف وأخفيت دموعي ودفنت في صمت أزهاري

ورجعت للبيت الحزين أبكي على جدرانه وأبوح بالسر المعين

ومن المواويل:

على فراق الولف قلبي لواني صرت مصدوم واتغيرت ألواني

يا ريتني عقد والصايغ لواني مخبأ بين نهديك والثياب

ومن المواويل الموزونة وارتباطه بالبحر الوافر:

يا طولك طول الزان لو مال يا شعرك حيد والجدال لو مال

وبوكي لا قيل أرضاً ولا مال أكيف الرأي عندك والجواب

المواويل وما يتعلق بالأرض:

حراث يا عمي، رمي على البقر رمي

وكم مليحة تقول للنذل عمي

حراث يا خالي، لا لي على البقر لا لي

وكم مليحة تقول للنذل خالي

أما مخاطبة المنجل:

منجلي يا منجلاه راح للصايغ حلاه

منجلي يا بو الخرافيش طاح بالزرع يطاحن

منجلي يا بو رنه وأنا جبته من غزة

وعن قطف الزيتون:

يا زيتون إقلب ليمون إقلب مسخن في الطابون

يا زيتونة بو مري هري لي بلح هرلي

يا زيتونة بو عرموش هري لي ذهب وقروش

ومن غناء الرعاة التي تتحدث عن الراعي الذي ترك مهنته ثم عاد بعد وقت طويل:

طلبن الغنم من قرنة الزنار عرفت الغنم وأغشمت هالرعيان

طلبن الغنم من قرنة الوادي عرفت الغنم وأغشمت الراعي

أما دعاء طلب المطر:

يا رب ما هو بطر بنطلب منك

يا رب ما هو غية بنطلب منك ميه

يا رب مطر مطر حتى نسقي هالبقر

يا رب رشاش رشاش حتى نسقي هالجحاش

وغناء البناء والبنائين:

صلى الله عالزين الهادي ومعانا مدوا الأيادي

ثم يغني أصحاب البيت لمعلم البناء:

أعطوا المعلم عقاده، ما طلب اعطوه عكا مع حلب

يا معلم مبروكة الدار، بيكبروا ويسكنوا فيها الصغار

أما علاقة الفلسطيني بالبحر:

فلان نزل البحر وبيده كيله

يا رب يرجع لها العيله

فلان نزل البحر وبيده بريق

يا رب يرجع سالم من هالطريق

فلان نزل البحر لولح محرمته

يا رب يرجع سالم لحرمته

وينشد الصيادون سواء على الشاطئ أو في عرض البحر:

واجي طولك على طولي بلا قيس

وبحر حايط الدنيا بلا قيس

وحق مين خلق الدنيا بلا قيس، قلبي ما هوى غيرك حدا

بالنسبة للدلعونا :تمتاز بأوزان خاصة، وقد عرفت الدلعونا في جميع أنحاء فلسطين:

ويتخيل المرء غربته وبعده عن وطنه وحنينه إلى مسقط رأسه فيقول:

على دلعونا على دلعونا نسم يا هوا الغرب الحنونا

والله إن متت يما اقبروني بأرض بلادي وفي الزيتونا

وزريف الطول :يقوم الشعر على نفس نمط الدلعونا على مجزوء بحر الرمل:

يا زريف الطول يا أم السن الضحوك يا اللي رابي بدلال أمك وأبوك

يوم جانا الخبر إنهم خطبوك شعر راسي شاب وقلبي انكسر

أبو الزلف الجفرا:

وهي أغنيات الدبكة، إذ تلتزم هذه الأغنيات في آخر كل مقطع منها قافية واحدة تأتي على الباء المشددة مع ألف ممدودة.

عالعين يا بو الزلف عين الزلف ليا

قلبي جرحه الهوا وين الدوا لها

جفرا ويا هالربع على البير نشالي

يا مزنرا بالطقم فوق الطقم سالي

الشهيرة للعريس (عريسنا عنترعبس) :يرددها الرجال في موكب الزفة أثناء مسيرتهم:

عريسنا عنتر عبس عنتر عبس عريسنا

عريسنا زين الشباب زين الشباب عريسنا

عريسنا ابن الكرام ابن الكرام عريسنا

واللي يعادينا نذبحه ونقطعه بسيوفنا

وللزجل أنواع شائعة في الشعر الشعبي العربي:

بدنا نحكي بدنا نقول ما بدنا حكي وطبول

بدنا نحرر بلدنا

هذا الكلام المعقول

وكما في الزجل فإن المعنى يؤدى من قبل مغن أو اثنين ويسيطر على المغنى جو عاطفي حزين:

قال المثل عمر الأسى ما بنتسى شط بحر الفن مركبنا رسا

اللي بإمس جنحه انكسر حاول الفرار أو ريشه كسا

والعتابا :وهي الأغنية الشعبية المفضلة في بلاد الشام وتحتل المرتبة الأولى بين ألوان الغناء الشعبي في فلسطين. ويمكن أن تغنى العتابا بدون موسيقى أو برفقة الناي (النشابة)، وهذا النوع أكثر شيوعاً في الجليل. في الغزل وقيمة المكان يقول:

نزل دمعي على خدي من الرأس على اللي زمَّل الجرة على الراس انسوا ديرة بعلبك مع الرأس

وحنا كروم زحلة والعنب

يتمنى الشاعر عودة كل غريب إلى بيته وبلده، عله يجتمع بمن يهوى:

زرعت الهَم في قلبي ع بيته يارب ترجع الغائب ع بيته

بأنا شاعر وبيدور ع بتها بالسطرين غاب

سقا الله يوم كنتم لنا قراب نشرب منابعكم والقراب

ما تقولوا لنا أهل وقراب لهم أحباب يفوق السحاب

ويوم الأرض:

ليوم الأرض يا هالعرب عدوني صهيون ع سخنين عدو

سبع شهدا بالبلدين عدو وقنابلهم بعرابة لها عدو

وعن تشريد شعب فلسطين ولجوئه للمخيمات والكهوف بقوله:

شعبنا اللي سكن مغر ومخيمات لقى علقات مرات وخيمات

إذا استشهد أخو من الأسرة ومات قصى فيل:

الرقص الشعبي في الأعراس :مناسبات الرقص الشعبي هي نفسها مناسبات الغناء الشعبي، وتتجلى كما يلي:

1) **الدبكة** :وهي رقصة شعبية تعم بلاد الشام كلها، وهي أنواع منها: الدبكة الشمالية، والطيارة، والعرجاء، والفتوحية، والفرادية (الكرادية)، والسبعاوية، والمثلوثة. وعلى سبيل المثال فإن السبعاوية تشبه الدبكة الشمالية وتقتصر على

الرجال بسبب عنفها، وهي السائدة في شفاعمرو وقضائها. وتختلف الكرادية عن النموذج العام للدبكة الشمالية بعدم وجود ملوح فيها وباشتراك النساء فيها بكثرة، والدوائر هي الشكل الذي تتخذه حلقة الراقصين، ويتوسطها عازف الناي. ويفيد أكثر من مرجع أن دبكتي الطيارة والخليلية، تمتازان بالرشاقة والحركات المجهدة، وأنهما تحتاجان إلى مزيد من الانضباط والدقة في الرقص.

2) **السامر** :وهو يمثل الحفلة الشعبية الساهرة التي تقام بمناسبة العرس، ثم صارت كلمة السامر تطلق على ذلك النوع من شعر المواليا الذي يؤدى بطرق جماعية بالتناوب بين فريقين. ويتبنى هذا الرقص (السامر) مناطق جنوب فلسطين، أما في شماله فيقال له السحجة، يلازمها المغني يلتزم بجناح في السحجة ويغني آخر في الجناح الثاني. وتبدأ المباراة (الأغاني) بأشعار شعبية لها أوزان، يقابله الفريق الآخر بأشعار بنفس الوزن، وعادةً تهدف هذه الأغنيات إلى مفاهيم مثل: الكرم والبخل، والشجاعة والخوف، الغنى والفقر وغيرها.....إلخ(1) .

الأفراح والأتراح: الغناء، الزواج ومراحله والأعراس

من سلوكيات مختلفة بعض الشيء. تقوم الأم وبناتها بالتفتيش عن الفتاة التي تليق **بجنابهم**، ويتم الاتفاق مع أهل العروس دون أن يرى العريس فتاته أو تراه. وبعد الاتفاق على الإجراءات (من مهر مقدم ومؤجل عند المسلمين)، يذهب ثلة من الرجال إلى بيت أهل العروس لخطبتها رسمياً. وتبدأ الخطوات بالخطبة، وتتجلى بعادات وتقاليد الناس في البلد، أهمها الأفراح:

الخطبة :من المتعارف عليه أن أهل العريس هم الذين يتولون اختيار العروس والخطبة والزفاف، وتتم الخطبة عندما يقتنع الشاب بالفتاة التي اختيرت له، مع العلم أن العريس في كثير من الحالات فيما مضى لم ير العروس ولم يسبق له أن شاهد فتاته أو تكلم معها، لأن هذا كان محظوراً وغير مرغوب فيه حسب التقاليد والأعراف البالية. وفي بعض الأحيان يترك الشاب لأهله (أمه وأخواته) البحث عن الفتاة. ويستقبل أهل العروس الوجاهة بالترحيب والتكريم، ثم تقدم القهوة لرجل وهو وجيه الخطبة، فيأخذ الفنجان ويضعه جانباً ويبدأ بتحية الجميع ويطلب الفتاة من وكيلها. وكان في الماضي تتم الخطبة بكلمات وجمل مفيدة، بينما تطورت الخطبة هذه الأيام إلى محاضرة تشيد وتمتدح بخصائل العائلة والمجتمع، ويكون الحديث طويلاً حقاً كما وجدته في عمان مثلاً. وقد قرأت فيما مضى خطبة عم الرسول صلى الله عليه (أبو طالب) ليخطب خديجة بنت خويلد بقوله: "الحمد لله الذي جعلنا من ذرية إبراهيم وزرع إسماعيل، وجعلنا الحكام على الناس. ثم إن ابن أخي محمداً من لا يوصف به أحد من شباب قريش إلا ورجح عليه عقلاً ونبلاً ومروءة وأمانة، وله في خديجة بنت خويلد رغبة ولها فيه مثل ذلك، وما أحببتم من الصداق فعلي". ويتم العطاء وتقرأ الفاتحة على نية الوفاق والتبريكات، وعندها يشرب الطالب فنجان القهوة ويشرب الحضور أيضاً، وعندها تسمع النسوة الموافقة، فتأخذ النساء بالزغاريد والغناء والتبريكات ويقدم الشراب. ومن الأغنيات التي تقال:

ع الزنزلخت ع الزنزلخت ريتك يا حلوة من حظي وبختي

بدك أبادلك ببادل بختي بدك مصاري بدفع مليونا

ثم تردد أغاني معاناة الشباب من غلاء المهر فيقولون:

على دلعونا يا مدلعنية وصاروا يطلبوا في البنت مية

صاح العزابي يا بيي منين مصاري أجيب المزيونة

التحضير للزواج :يدفع الشاب مهر عروسه حسب الاتفاق، ويقوم أهل العروس بشراء الحاجات لابنتهم من ثياب وحلي وفرش وغيره. وكثيراً ما كان المهر يرهق الشباب ويثنيهم عن الزواج لفداحة النقد المطلوب. وقبل حفل الزواج، تنقل أغراض العروس إلى بيت العريس بواسطة النسوة، إذ يحملنها وهي موضوعة في صناديق وصواني وأطباق وبقج، وهن يرددن الأغاني في زفة من بيت العروس إلى بيت العريس.

حفلات الزواج :تقام السهرات ويقال لها التعليلة وذلك مساء كل يوم ولمدة تتراوح بين ثلاثة أو سبعة أيام، وهي فترة إعداد العروس للزفاف من تجربة للألبسة والحناء والزينة. كما يسهر الذكور على ضوء القمر أو مصابيح (لوكسات) ويتدربون على الأغاني والدبكة. ويسبق كل ذلك دعوة المعارف ووجهاء القرى المجاورة لحضور الحفل، إلى جانب دعوات أهل القرية من رجال ونساء.

وفي يوم العرس، تأتي وفود المدعوين من مناطق متعددة وهي تحمل معها الهدايا، وغالباً ما تكون ذبائح أغنام وأكياس سكر وأرز وقهوة وغيرها من المؤن المطلوبة للعرس.

ينهمك أهل العريس وأقربائهم في استقبال الضيوف وإعداد الطعام من ذبح الخرفان، وتقام الموائد ويتناول الضيوف طعام الغداء. وعند العصر تبدأ مراسم الدبكة والغناء وسباق الخيل، وأحياناً المنافسة في رمي الرصاص لإصابة الهدف. ويكون هذا الحشد من الناس فرصة لتمتين عرى الصداقة والتعارف بين الناس، وفي كثير من الحالات تحل مشاكل وتوثق علاقات بين الأسر.

تغني النساء أمام العروس أثناء خروجها إلى بيت عريسها أغنيات بقولهن:

يا محمرة يا مبودرة وألفين حق الكندرة

حلفت يا فلانة ما بطلع إلا الحامولة حاضرة

ومن أغاني الزفاف الشهيرة للعريس، يرددها الرجال في مواكب الزفة في مسيرتهم يرافقون العريس إلى بيت العروس بقولهم:

عريسنا عنتر عبس عنتر عبس عريسنا

عريسنا ابن الكرام ابن الكرام عريسنا

عريسنا زين الشباب زين الشباب عريسنا

واللي يعادينا نذبحه ونقطعه بسيوفنا

ويركب العريس على حصان مكتمل العدة، ويحلى صدر الحصان بالقلائد والحلي وأغلبها من الذهب الخالص (1) المزخرف، ويجمل بالحلي الذهبية من رأسه حتى صدره، وكذلك الحال حصان العروس. ومن الزغاريد التي تحيي أرباب الأسرتين وتمجدهم وتشير إلى مكانتهم، وعلى غرار التقاليد العربية (المهاهاة التالية):

إيه ويها يا بو فلان لا ترخي الحبل فينا إيه ويها ولا تشمت بنا شامت إيه ويها

ويها حنا إن رحلنا جعلناك الدلو

وحنا إن نزلنا جعلنا بيتك الغالي

العتابا :تتضمن العتابا معاني ومفاهيم للقيم الاجتماعية، وتستخدم الفخر والمديح. وأكثر العتابا تأخذ جانب الغزل بقولهم حول صيد الظباء الأنسية والتي حفلت بها الأغاني. وفي كثير من الأحيان تتحدث عن الصياد العاشق وعن الغزال الشارد والحمامة الجميلة، وقد أصابت الغزلان قلوب العاشقين بقولهم:

ثلاث غزلان ناحي العين ماضين بقلبي ناصبات العين ماضين

كشف الطبيب جرحي وقال ما ظن ما ظن يطيب مجروح الهوى

ونرى العاشق متيماً بجمال فتاته التي جمعت القوام الرشيق والشعر المائل، والعاشق محتار معذب بعدما رفض والدها طلبه فيقول:

يا طولك طول عود الزان لو مال حير الجدال لو مال

وبوكي لا قبل قبض فضة ولا مال أكيف الرأي عندك والجواب

إن الأغاني كثيرة عديدة متنوعة، وكل منها معانيه ولحنه. منها **زريف الطول ودلعونا :**ويتغزل المغني بحبيبته التي عاشت بدلال أمها وأبيها، ولكنه يفاجأ بخطبتها لغيره فيقع عليه النبأ وقوع الصاعقة فيقول:

يا زريف الطول يا أم السن الضحوك يا اللي رابيه بدلال أمك وأبوك

يوم جانا خبر إنهم خطبوك شعر راسي شاب وظهري انكسر

ويتخيل المرء غربته وبعده عن وطنه وحنينه إلى مسقط رأسه فيقول:

على دلعونا على دلعونا نسم يا هوا الغربي الحنونا

بالله إن متت يما اقبروني بأرض بلادي وفي الزيتونا

الغزيل :وهي تسير على نمط مماثل، فهي أغنية قصيرة تتألف من بيتين من الشعر، وتتفق الأشطر الثلاثة الأولى بقافية واحدة، بينما تختلف قافية الشطر الرابع والأخيرة وتنتهي بالمقطع (با) وهذا ناتج عن عبارة "أهلاً."

يا غزيل يا بو الهيبا يا غادي يا معذبا

زرتونا وشرفتونا أهلاً وسهلاً ومرحبا

وفي الأعراس تقام الدبكات والسحجات، ويأتي الحداؤون (الشعراء) ويلقون أشعارهم الغنائية التي تتناول المدح والذم، الافتخار والغزل، وجميع أصناف المصطلحات والمفاهيم والقيم.

وقد جرت العادة أن يقف الشاعر أمام صف مستقيم من الرجال ينشد أغانيه، ويقف الشاعر الثاني مواجهاً الأول، ويتبارى الأقوال الموزونة بمواقف حياتية معينة، على سبيل المثال السمراء والبيضاء. وينتصر الرجال لأي فريق، وفي كثير من الحالات يؤيد الجميع الأفضل. وفي حالات كثيرة تتداخل النعوت السيئة والألفاظ البذيئة وتصل إلى العراك بين المناصرين للشاعرين. ومن هذه الأغاني:

البيضاء:

قالت البيضاء اسم الله علينا يا ورد مفتح حوالينا

يا اللي سافرتوا عودوا الينا لا تطيلوا الجفا تزيد الهموما

السمراء:

قالت السمرا واحنا الهرايس واحنا المحارم بيد العرايس

روحي يا بيضا اللبن ما يص واللي بهواك يصبح مجنونا

ترد البيضاء:

يا ماخذ السمرا ويش بدك فيها يا رمل البحر تنو يجليها

في البير الخارب والله لأرميها واحكم عليها حكم فرعونا

أبو الزلف :هي أغاني الدبكة، تلتزم هذه الأغاني في آخر كل مقطع منها قافية واحدة تأتي على الباء المشددة مع الألف الممدودة.

عا لعين يا بو الزلف عين الزلف ليا

قلبي جريح الهوا وانتي الدوا ليا

جفرا ويا هالربع عالبير نشالي

وازنرا بالطقم فوق الطقم شالي

ولادة المرأة:

عندما تلد المرأة، تخرج القابلة لإعلان النبأ. فإن كان المولود ذكراً، تعبر الزغرودة عن الفرح والسعادة بخلاص الأم ونجاتها:

إيه ويها جابت وقامت إيه ويها وع فراشها ما نامت

إيه ويها ولك الحمد يا رب إيه ويها وما تشمت فيها شامت

وفي غناء آخر للمولود يقولون:

إيه ويها يا بلبل على الشجر إيه ويها عيش وأكبر يا ذكر

إيه ويها يا عطية ربنا إيه ويها وما نال إلا اللي صبر

وقد تلجأ المهاهاة أحياناً إلى التعميم، فلا تذكر المولود أذكراً أم أنثى، وإنما تقتصر على دعاء بشفاء الوالدة وقيامها بالسلامة:

إيه ويها وقفت حمامتنا إيه ويها وبقلب طاقتنا

إيه ويها لا فرحنا ببنت وصبي إلا بسلامة حبيبتنا

تنويم الطفل :تحاول الأم هز السرير الخشبي في الماضي أو المرجوحة وتأخذ بالغناء ويسمى هدهدة:

نامت عيونك وعيون الحق ما نامت

وما ظلت شدة على مخلوق ودامت

ويقولون أيضاً:

للي له يا حمامة هللي له تينام

وافرشيله الأخضر والوساید وريش النعام

ترقيص الطفل :وترتبط بنمو الطفل وفق ما تدرك الأم أن الوليد يتحمل اللعب والترقيص، وذلك بوضع يديها تحت إبطيه ورفعه إلى أعلى بحركات ترافق الأغنية، كالتالي:

ميمته يا ميمته يا ربي تخليه

وتخليه لمويمته وتكحلله عينيه

وإن شاء الله بيكبر ويحمي هالشياب

ويحمل على جنبه سيف وجراب وشبرية

أغاني الختان :وهي متنوعة وليست هناك أغنية متخصصة، فالأم تغني ما يحلو لها من مهاهاة وأغان عامة. غير أن هناك أغان بهذه المناسبة تتكرر مثل:

طهروا يا شلبي وناولو لأمه يا دموعه الغالية نزلت على كمو

ومطهريا مطهر امسح بالشفرة لا توجع لي رياض ابن الإمرا

اللعب مع الغناء :تتناسب هذه الألعاب مع سن الطفل. وعندما يصبح الطفل قادراً على فهم ما يقوم به، يؤدي الأب والأم بعض الأغاني ترافقها الألعاب، منها مثلاً:

يا منيمسة يا منيمسة يا حبة القريمسة

بعثتني معلمتي أشتري رأس البصل

وقع مني وانكسر بوق بوق

يا أم الحلق والدبوس قيمي إيدك يا عروس

وهناك لعبة تداعب الطفل بعد المشي، إذ يحمل الأب طفله على ظهره، وتقوم الأم بينما تلف يدها حول رقبة الأب، فيقول الأب:

أنو فوقي ويرد الطفل عبد الطوقي

الأب: شو بدو يرد الطفل: حمص مقلي

وينزل الأب طفله قائلاً: طيح نقي.

أغاني الشتاء :يجتمع الأولاد عند نزول المطر ويضعون على رؤوسهم أكياساً من الخيش (القنب) لتقيهم من المطر، ويقولون:

شتي يا دنيا شتي على صلعة ستي
ستي جابت صبي سموه عبد النبي
حطته بالطنجرة طلع صحن مجدرة
حطته بالبير طلع راسه كبير

وهناك أغنية عند سقوط المطر يغنيها الأطفال وهم في حلقة دائرية:

شتي وزيدي بيتنا حديدي
عمنا عبد الله كسر الجرة
شتي وزيدي على طريق سيدي
سيدي بالمغاره ذبح قطة وفارة
سيدي في البرية بيطبخ لبنية

وهناك أغنية بالأعياد:

بكرة العيد بنعيد بنذبح بقرة السيد
والسيد ما له بقرة بنذبح بنته ها الشقرة

ومن الأغاني القديمة بدوية المصدر:

يا طيور طايرة يا مراكب سايرة
سلمي على أمي وأبي وقولي جبينة راعية
ترعى غنم ترعى سخول وتقيل تحت الدالية

وتدخل مثل هذه الأغاني في الحكايات (الخراريف).

ومن الأغاني التي يرددها الأطفال عندما يتأرجحون:

هز التين يا وروار بعده التين ما نور

ما نور إلا الزيتون يا زيتون احمل ليمون

ومن الألعاب التي تر افق الأغاني:

طاق طاق طاقية رن رن يا جرس حول واركض على الفرس

لعبة الدائرة مع القفز: تلجأ الفتيات إلى لعبة خفيفة تضم ثلاث بنات يضعن أيديهن فوق أكتاف بعض ويقفزن معاً قفزات متوازية ويغنين:

إحنا الثلاثة سوا مثل عمود الهوا

وحدة كبيرة وحدة صغيرة

وحدة طويلة وحدة قصيرة

وحدة بترجع لورا

ومن الألعاب الأخرى السائدة للذكور والإناث:

لعب البنات :لعبة الإكس (الحيز)، والزقطة (القلة)، والغميضة (الطميمة)، والخويتمة (الخاتم والأصبع)، ونط الحبل، لعبة الخمسات.

لعب الذكور :كسر البيض، البنانير (الدحل)، لعبة الكورة، لعبة المنة، لعبة الغزة (توضع عصا مثبتة في ثقب حجر ويتبادل الأولاد ضربها كل بعصاه، والذي يكسرها بعصاه يكون الفائز)، لعبة كرة القدم، وسباق الركض، والسحاسيل.

الصيد :كان الكثير من الأولاد يريدون الصيد، حتى كان منهم من يبتكرون أدوات جديدة لصيد العصافير مثل النقيفة، أو بالفخ، بالدبق، بالشبك، بالفخاخ، وجمع الفراخ من أعشاشها. وكان البعض يستخدم ماسورة مركبة على أخمص من الخشب مثل البندقية ويطلق السهم بواسطة نابض أو شريحة مطاط.

حاجة من بلدة اللقية مع أحراشها

المراجع:

(1) الموسوعة الفلسطينية، خاص، ج4، فكتور سحاب.

(2) الموسوعة الفلسطينية، ج2، خاص، حسن عليوه.

(3) الفولكلور الفلسطيني، ج2، نمر سرحان.

(4) الموسوعة الحرة، ويكيبيديا .

الفصل السابع: مجازر الصهيونية في شعب فلسطين

قامت الصهيونية العالمية منذ أواسط القرن التاسع عشر وأوائل القرن العشرين بصياغة منهاجها الاستعماري المطابق للاستعمار الأوروبي، ويزيد عليه بالاستعمار الاستيطاني القائم على تفريغ فلسطين من سكانها العرب وإحلال يهود العالم محلهم، والتقت دعوتهم مع رائدة الاستعمار العالمي بريطانيا.

وقد وجدت بريطانيا مصلحتها بزرع شعب غريب في قلب فلسطين، لمنع الجناح العربي في أفريقيا عن الجناح العربي الآسيوي، وتمزيق وحدة العرب بكيانات هزيلة ضعيفة تظل تابعة للاستعمار بكل أشكاله.

تلاقت مصالح بريطانيا مع رغبات الصهاينة، فأصدرت الحكومة البريطانية وعدها المشؤوم، وهو وعد بلفور وزير خارجية بريطانيا بتاريخ 2 أكتوبر 1917، الذي ينص على منح الصهاينة وطناً قومياً لهم في فلسطين، بشرط عدم المساس بمصالح سكانها العرب، وكانت فلسطين آنذاك تحت الحكم العثماني. وقد بات هذا الوعد مقدساً لدى السلطة البريطانية، وعملت كل المستحيلات في تنفيذه رغم كل الاحتجاجات السلمية من شعب فلسطين العربي من مظاهرات وعنف كانت تجابهه بقسوة ظالمة. وقد حكمت بريطانيا فلسطين منذ عام 1918 حتى عام 1948، أي ثلاثة عقود، أنجزت فيها تأمين الوعد بكل مقوماته، في تأمين المؤسسات والأبنية والمرافئ البحرية مثل ميناء حيفا ومصفاة البترول، والموانئ الجوية المدنية مثل مطاري اللد وقلندية، وشبكات مواصلات برية بطول البلاد وعرضها، كما خلفت بريطانيا ما أقامته من معسكرات وسجون ومراكز الأمن ومؤسسات كاملة للخدمات (دوائر تعليم، زراعة، صناعة، محاكم ...الخ) إلى جانب الهجرة الصهيونية التي تمت في عهد انتدابها، إذ كان عدد اليهود بفلسطين وقت انتدابها 56000 فرداً، وأصبح عددهم بعد انسحابها 650000 نسمة. كل هذا تسلمته العصابات الصهيونية من بريطانيا عند انسحابها من فلسطين، وتركت للعصابات الصهيونية السيطرة على باقي فلسطين، ولم تترك لأهالي البلد من مؤشر حضاري سوى البيوت المهدمة لمعارضين لسياستها وتعدادها بآلاف، والسجون والمعتقلات والتشريد. وإليك ما قامت به العصابات الصهيونية من مجازر لعرب فلسطين:

1. **مذبحة قريتي بلد الشيخ وحوَّاسة، عام 1947/12/31**

أمام باب مصفاة بترول حيفا، ألقى الصهاينة وهم داخل حافلة مصفحة قنبلة قتلت عدداً من العمال العرب كانوا مجتمعين بفسحة الباب. ووصل الخبر إلى العمال في الداخل، فثار العمال العرب وأكثرهم من قريتي حوَّاسة وبلد الشيخ، هاجموا العمال اليهود الموجودين بالمصفاة بالمعاول والفؤوس وقضبان الحديد، وقتلوا وجرحوا نحو ستين منهم. عندها قامت المنظمات الصهيونية بمهاجمة المساكن المتطرفة في القريتين الآمنتين ليلاً، فرموها بالقنابل اليدوية وأمطروها برشاشاتهم لمدة ساعة، وخلفوا وراء هذا الهجوم المفاجئ 30 شهيداً وجريحاً، وأحرقوا عشرة بيوت.

2. **مذبحة قرية سعسع، قضاء صفد، في 1948/2/14**

شنَّت عصابة البالماخ الصهيونية هجوماً على قرية سعسع، دمرت فيها 20 منزلاً فوق أصحابها، وأسفر الهجوم عن 60 نسمة معظمهم من النساء والأطفال، وقد تماهى العدو بهذه الجريمة واعتبرها مثالية يعتز بها.

3. **مذبحة رحوفوت، في 1948/2/27، قرب حيفا**

حدثت في حيفا قرب مستوطنة رحوفوت، حيث نسف الصهاينة قطار القنطرة للركاب، الأمر الذي أسفر عن استشهاد 27 عربياً وجرح ستة وثلاثين آخرين.

4. **مذبحة كفر حسينية، في 1948/5/13:** قامت عصابة الهاجاناه بالهجوم على القرية وعملت على تدميرها، وأسفرت المذبحة عن استشهاد ثلاثين عربياً.
5. **مذبحة بنيامينا، في 1948/5/27:** لقد حدث في هذا الموقع مذبحة، حيث نُسف قطاران، أولهما تم في 1948/5/27 وأسفر عن استشهاد 24 فلسطينياً وجرح أكثر من 61 آخرين. وتمت العملية الثانية في 1948/5/31، حيث استشهد أكثر من 40 عربياً وجرح 60 آخرون.
6. **مذبحة دير ياسين، في 1948/4/9:** مجزرة ارتكبتها منظمتان صهيونيتان إرهابيتان، هما الأرغون والتي يرأسها مناحيم بيجن (رئيس وزراء إسرائيل فيما بعد والمحكوم عليه من قبل حكومة الانتداب البريطانية بعشرين عاماً) وتم الهجوم باتفاق مسبق مع منظمة الهاجاناه، وراح ضحيتها زهاء 260 فلسطينياً من أهالي القرية، معظمهم مدنيين عزل. وكانت هذه المذبحة وغيرها من أعمال الإرهاب والتنكيل المحرمة دولياً، وهي إحدى وسائل البطش التي تبنتها العصابات الصهيونية لإفراغ الأرض من أصحابها والسيطرة على فلسطين العربية، وكل هذا تحت أنظار سلطة الانتداب وحراب جنودها المسلطة على عرب فلسطين.
7. **مذبحة الطنطورة، في 1948/8/22:** هاجمت كتيبة 23 التابعة للواء الإكسندروني ليلاً قرية الطنطورة واحتلتها بعد ساعات، وانهمك الجنود الصهاينة بملاحقة ومطاردة البالغين من الذكور، وقتل من يقابلوه بعد أن قسموا بعضهم إلى فرق توزعوا في القرية. وقد جمعوا جثث القتلى وعددهم التسعين شهيداً من خيرة شبان القرية وطمروهم في حفرة، ولم يكشف الخبر عنهم إلا قيام طالب جامعي يهودي بتقديم رسالته التي خصها في المذبحة، وأخذ مصادره من أفواه من قابلهم من ذوي الشهداء وضباط الجيش الإسرائيلي وملفات العسكر.
8. **مذبحة قرية الدوايمة، في 1948/10/29:** هاجمت الكتيبة التابعة لمنظمة ليحي الصهيونية بقيادة موشيه ديان قرية الدوايمة في منتصف الليل، وحاصرت المصفحات البلدة من كل أطرافها ما عدا الجانب الشرقي للسماح لأهلها بالهرب. وقام أفراد المنظمة بتفتيش المنازل وقتلوا كل من صادفهم من السكان، ونسفوا بيت المختار. وقد لجأ بعض المسنين إلى مسجد القرية واحتموا فيه، وقتل منهم 75 رجلاً. كما لجأت 36 عائلة إلى مغارة البلدة، وفي اليوم الثاني وصلتهم قوات الإرهاب جميعاً بالقنابل والرشاشات. وقد حاول البعض من أهل القرية التسلل إلى بيوتهم لجلب الطعام والشراب والثياب، وقد جرى اقتناصهم وقتلهم، كما نسفوا عدة بيوت بمن فيها. ثم جمع الصهاينة الجثث وألقوها في بئر القرية لإخفاء بشاعة المجزرة، والتي لم يكشف عنها إلا عندما نشرت صحيفة "حداشوت" الإسرائيلية تحقيقاً عنها. وقد أقام الصهاينة مستعمرة "أماتزيا" على أرض القرية المنكوبة.
9. **مذبحة يازور قرب يافا، في كانون الأول عام 1948:** تقع القرية على مفترق طرق، تعرضت القوافل الصهيونية إلى عنف المقاومة العربية، كانت آخرها أن اصطدمت سيارة حراسة يهودية بلغم أردى بحياة ركابها وكانوا سبعة. فوجه ضابط عمليات منظمة الهاجاناه بيجال يادين أمراً إلى قائد البالماخ يغآل ألون بالقيام بعملية عسكرية ضد القرية تتضمن نسف وإحراق منازل وقتل سكانها. قامت العصابات الصهيونية الإرهابية في 22 كانون الثاني 1949، أي بعد 30 يوماً من حادث الحراسة، وتولى إسحاق رابين عمليات البالماخ، فهاجم القرية فجر ذلك اليوم، فنسفت قواته العديد من المنازل ومباني منها مصنع الثلج، وأسفر هذا الاعتداء عن مقتل 15 فلسطينياً من سكان القرية وهم نيام. وتعود أهمية هذه المذبحة إلى أن الشخصيات المعتدلة بين أعضاء النخبة الحاكمة في إسرائيل اشتركوا في هذه المذبحة، كما أن توقيت الجريمة جاء بعد إعلان قيام الدولة، ولم تنشر تفاصيل الجريمة إلا عام 1981.

10. **مذبحة شرفات، في 1951/2/7:** في الثالثة من صبيحة يوم 1951/2/7، وصلت سيارات قادمة من القدس، وعلى ثلاثة كيلومترات ونصف عن خط سكة الحديد جنوب غرب المدينة وتوقفت، حيث ترجل منها نحو ثلاثين مسلحاً صهيونياً، واجتازوا خط الهدنة وتسلقوا المرتفع باتجاه القرية المطلة على القدس، فقطعوا الأسلاك الشائكة وأحاطوا ببيت المختار ووضعوا عبوات ناسفة في جدرانه ونسفوها بمن فيها، وانسحبوا تحت حماية نيران زملائهم والتي أصابت أهل القرية. وأسفرت المذبحة عن سقوط عشرة من القتلى: ثلاث نساء وخمسة أطفال، وثمانية جرحى كلهم من النساء والأطفال.
11. **مذبحة بيت لحم، في 1952/1/26:** وفي ليلة عيد ميلاد السيد المسيح للطوائف الشرقية، قامت دورية صهيونية بنسف منزل قريب من بلدة بيت جالا على بعد 2 كم من بيت لحم، وأطلقت النار على منزل آخر بالقنابل اليدوية، فقتل صاحب المنزل وزوجته وطفلان، وجرح طفلان آخران من العائلة.
12. **مذبحة قرية قلمة، في 1953/1/29:** هاجمت سرية معززة تتألف من 120-130 جندياً صهيونياً قرية قلمة العربية الواقعة في الضفة الغربية، حيث دكت القرية بمدافع الهاون فهدمت بعض بيوتها، وخلفت تسعة شهداء مدنيين إلى جانب عشرين جريحاً.
13. **مذبحة قلقيلية، في 1953/8/28:** حرص أهل قلقيلية على جمع المال وشراء الأسلحة للدفاع عن أنفسهم لما لمسوه من جرائم العصابات الصهيونية في إبادة شعب فلسطين. واستمرت المناوشات بين الطرفين، ولم يكتم الصهاينة غضبهم وفشلهم في كسر شوكة أهل القرية، حتى أن موشيه ديان صرح بقوله: "سأحرث قلقيلية حرثاً"، وذلك أثر فشل عدة محاولات لاحتلالها، وبشكل خاص في اشتباك يونيو 1953. وفي التاسعة من مساء العاشر من تشرين أول عام 1953، تسللت إلى قلقيلية مفرزة من الجيش الصهيوني تقدر بكتيبة مشاة وكتيبة مدرعات تساندها مدفعية ميدان ونحو عشر طائرات مقاتلة، فقطعت الأسلاك الشائكة وأسلاك الهاتف، وزرعت بعض الألغام في الطرق، في الوقت الذي احتشدت فيه قوة كبيرة من المستوطنات القريبة. وقد تحركت في الساعة العاشرة من مساء اليوم نفسه، وهاجمت قلقيلية من ثلاثة جهات مع التركيز على مركز الشرطة، لكن الحرس الوطني أفشل الهجوم وتراجع العدو بمدرعاته. وبعد ساعة عاود العدو الهجوم بكتيبة مشاة تحت حماية المدرعات، وأحبطت العملية على يد النجدات القادمة من أهل القرية وما جاورها، وتراجع العدو ثانية وقد تكبد خسائر واضحة. تأكد سكان القرية أن هدف العدو هو مركز الشرطة، فزادوا قواتهم حوله وحشدوا أعداداً كبيرة حوله. وقد استغل العدو هذه الظاهرة، فقذفوا التجمعات بالمدفعية الميدانية، وقذفت الطائرات رشاشاتها وقنابلها، وتقدمت آليات العدو إلى مركز الشرطة واحتلته. ثم تابع العدو تقدمه وهو يطلق النار من رشاشاته على البيوت، وقتل كل من يصادفهم في الطريق، وكان حصيلة المذبحة غير المتكافئة قرابة سبعين شهيداً من سكان القرية وما حولها، إلى جانب الخسائر المادية التي لحقت ببيوت أهل البلدة وما أكثرها. لقد تحركت وحدة من الجيش الأردني القريبة من القرية، واصطدمت بألغام العدو التي زرعها في الطريق، فتكبد بعض الخسائر، وقام بعدها بقصف تجمعات العدو بالمدفعية الميدانية وكبدهم بعض الخسائر.
14. **مذبحة قبية، في 1953/10/15:** في كتاب صدر في تل أبيب عام 1969 باللغة العبرية، يرصد مؤلفه (يوري فلنشتين) العمليات التي قامت بها الفرقة 101 الشهيرة والمتخصصة بتدمير القرى العربية، والتي يرأسها "آريل شارون" ونائبه شالوم، والذي يحكى عنه في إسرائيل أنه أجهز على الجرحى في مستشفى شرم الشيخ العسكري عام 1956. وقد قامت هذه الوحدة بسلسلة من العمليات الإرهابية خلال عام 1953 بلغت ذروتها في مذبحة

"قِبْيَة" القرية الوديعة الواقعة في الضفة الغربية. وقد تذرعت السلطة الصهيونية في بداية الأمر بأن الهجوم جاء انتقاماً لمقتل امرأة يهودية مع طفلها، كما مارست الخداع بادعائها أن مرتكبي الحادث هم من المستوطنين وليسوا قوات نظامية، إلا أن مجلس الأمن، الذي أيدته اعترافات بعض القيادات الصهيونية بأن الهجوم على المرأة وطفلها خطط له منذ زمن بعيد لذلك لابد من الانتقام. وأسفرت مذبحة قبية عن سقوط 19 قتيلاً من المدنيين العزل، ونسف 41 بيتاً ومسجداً وخزان مياه القرية. وقد أبيدت أسر بكاملها مثل عائلة عبد المنعم قاووس المؤلفة من 12 فرداً. وتعد مجزرة قبية علامة بارزة في انتهاك دولة الصهاينة للقانون والأعراف الدولية، فضلاً عن حقوق الإنسان، ونموذجاً سافراً لسياستها الإرهابية، والأمم المتحدة المغلوب على أمرها لا يصدر عنها سوى الاستنكارات الخجولة وبصاق تافه سرعان ما تلحسه قبل أن يجف.

15. **مذبحة دير أيوب في 1954/5/29:** في الساعة العاشرة من صباح ذلك اليوم، خرجت من القرية ثلاث بنات لجمع الحطب، تراوحت أعمارهن بين الثامنة والثانية عشرة. وعند وصولهن إلى نقطة قريبة من القرية وعلى بعد 400 متر من خط الهدنة، فاجأهن بعض الجنود الصهاينة. هربت طفلة فأطلقوا عليها النار وأصابوها في فخذها، وتحملت الطفلة وتابعت الركض حتى وصلت بيت أهلها وأخبرتهم بما جرى.

أسرع أهل الطفلتين إلى المكان المذكور، وشاهدوا نحو اثني عشر جندياً يسوقون أمامهم الطفلتين باتجاه بطن الوادي في الجنوب، حيث أوقفوهما وأطلقوا عليهما النار واختفوا وراء خط الهدنة. وقد توفيت إحدى الطفلتين مباشرة، وفي اليوم التالي توفيت الأخرى في المستشفى الذي نقلت إليه.

16. **مذبحة نحالين في 1954/5/29:** قامت قوة من الجيش الإسرائيلي مؤلفة من 300 جندي باجتياز خط الهدنة وتوغلت في أراضي الضفة الغربية مسافة أربعة كيلومترات حتى وصلت إلى قرية نحالين بالقرب من بيت لحم، حيث ألقت كمية من القنابل على تجمعات من سكان القرية، وزرعت الألغام في بيوت القرية ومسجدها. وأسفرت المجزرة عن استشهاد أحد عشر من سكان القرية وجرح أربعة آخرين.
17. **مذبحة كفر قاسم 29/أكتوبر/1956:** في 1956/10/29، وعشية العدوان الثلاثي على مصر، تولت قوة من الجيش الإسرائيلي تنفيذ حظر التجول على المنطقة التي تقع عليها بلدة كفر قاسم في منطقة المثلث على الحدود مع الأردن والضفة الغربية. وقد تلقى قائد القوة ويدعى الرائد شموئيل ملنيكي الأوامر بتقديم موعد حظر التجول في المنطقة إلى الساعة الخامسة مساء، وهو الأمر الذي يستحيل تنفيذه خاصة لأولئك الذين يعملون خارجها، وهو ما نبه إليه مختار القرية حينها قائد القوة الإسرائيلية. كما تلقى شموئيل ملنيكي توجيهات واضحة من العقيد (شدمي) "بقتل العائدين إلى القرية" بقوله: "الأفضل أن يكون هناك قتل، لا نريد اعتقالات، دعنا من العواطف". وكان أول الضحايا أربعة عمال رحبوا بالجنود بكلمة "شالوم" فردوا عليهم التحية بحصد ثلاثة منهم، بينما نجا الرابع ظناً منهم بأنه خر أرضاً مع الآخرين، ولقي مصرعه لاحقاً. كما قتلت مجموعة منهم امرأتين كانتا عائدتين من جمع الزيتون، وذلك بعد أن استشار الملازم جبرائيل دهان القيادة باللاسلكي. وفي خلال ساعة ونصف الساعة، سقط 49 شهيداً و13 جريحاً هم ضحايا المذبحة. وقد لوحظ بأن جنود الاحتلال سلخوا الضحايا نقودهم وخواتم أيديهم وساعاتهم اليدوية. ظلت السلطات الإسرائيلية ملتزمة الصمت عن المجزرة أسبوعين، إلى أن اضطرت إلى إصدار بيان من مكتب رئيس الدولة عقب تسرب أنباء إلى الصحف ووسائل الإعلام. وتغطية على الجريمة، أجريت محاكمة ثلاثة عشر منهم على رأسهم العقيد شدمي، وأسفرت المحاكمة عن تبرئة شدمي حيث شهد لصالحه

موشي حاييم، بينما عوقب ملنيكي بالسجن 17 عاماً، وعوقب دهان وشالوم عوفر بالسجن 15 عاماً، في حين حكم على خمسة آخرين بأحكام تصل إلى سبع سنوات، وحظي الباقون بالبراءة.

وإذا كانت محاكمة المتهمين الصهاينة بدأت بعد عامين من المذبحة، فإنه قبل عام 1960 كانوا جميعاً خارج السجون أحراراً، حيث أصدر إسحاق بن تسفي رئيس دولة إسرائيل عفواً عنهم. بعدها سارع الملازم دهان بالرحيل إلى باريس معلناً سخطه على التمييز الذي تمارسه السلطات بين السفارديم (وهم اليهود الشرقيين) وبين الأشكناز القادمين من أوروبا وروسيا وأمريكا.

18. **مجازر العدو الإسرائيلي في خان يونس:** شن الإسرائيليون على خان يونس غارتين عام 1955م، زاعمين أن المقاتلين الفلسطينيين ما زالوا ينطلقون منها ومن مخيمات اللاجئين قربها إلى إسرائيل للقيام بعملياتهم. ووقعت الغارة الأولى في 1955/5/30م، وكانت حصيلتها استشهاد عشرين عربياً وجرح عشرين آخرين. والثانية في مساء 1955/8/31م، واستهدفت مع خان يونس بلدة بني سهيلة. وقد استخدم العدو في هذا الهجوم الأخير مختلف أنواع السلاح الأرضي من مدفعية ودبابات ومجنزرات وقوات مشاة من سلاح الهندسة. وقاوم الأهالي بضراوة وكبدوا العدو الكثير من الإصابات، إلا أن التفوق الساحق للعدو اضطر فئات الحرس الوطني إلى الانسحاب والاحتماء في مخفر الشرطة، حيث استمرت المقاومة لفترة أخرى من الزمن. وفي النهاية، تمكنت مجموعة من سلاح الهندسة الإسرائيلي تحت حماية القنابل وستار الدخان من الاقتراب من المخفر، فنسفته بما فيه. وكانت حصيلة الغارة استشهاد 46 عربياً وجرح خمسين.

في 1956/11/12، قام العدو الصهيوني بالهجوم على خان يونس ومخيم اللاجئين، واحتل البلدة والمخيم، وقتل منهما 275

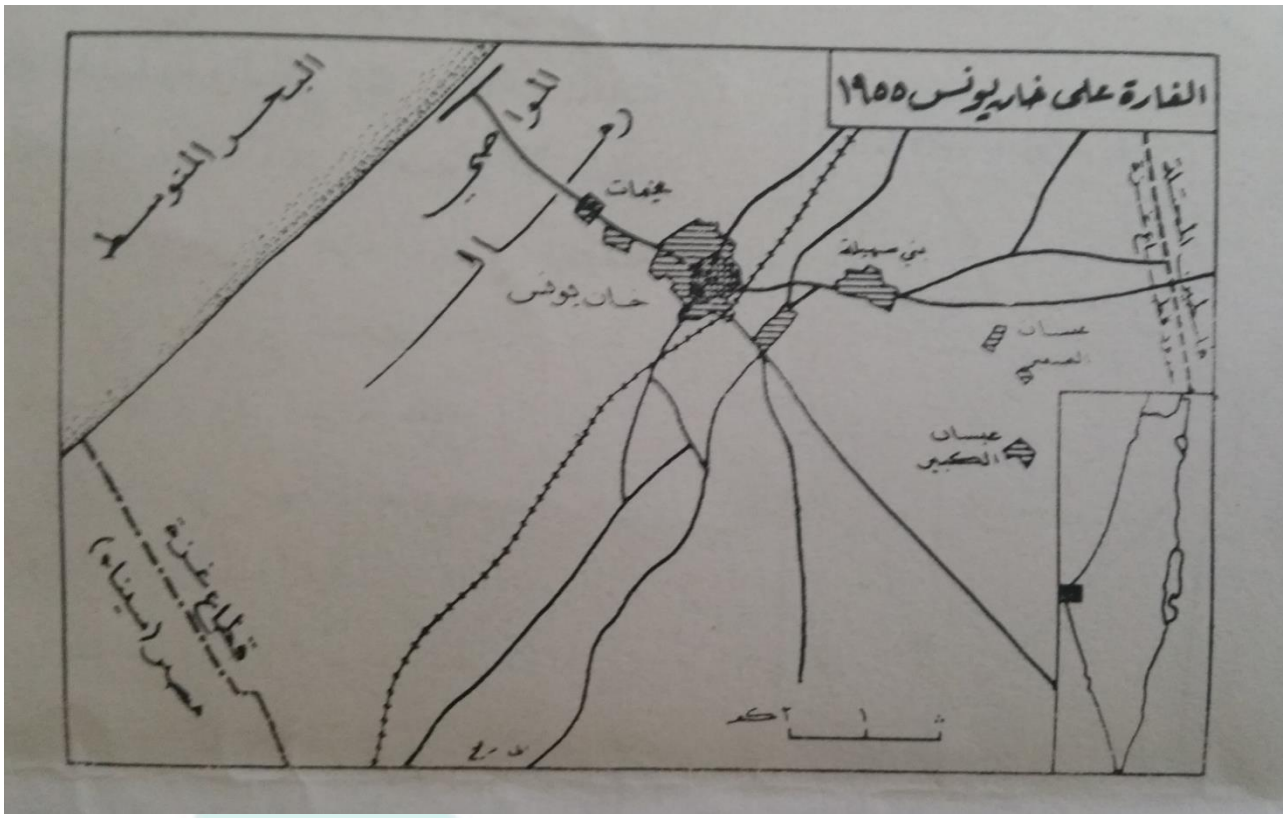

شهيداً، وذلك بإطلاق الرصاص عشوائياً على أهالي المخيم، فقتل 111 لاجئاً في المخيم(5) .

- **حرب 1967م: خطة إسرائيل باحتلال بورسعيد عن طريق خان يونس ورفح:** وما أن سارت مجموعة من القوات الشمالية الإسرائيلية المكلفة بإسقاط خان يونس ورفح والتوغل نحو الساحل باتجاه بورسعيد، حتى اصطدمت بمقاومة جيش التحرير الفلسطيني ذي التسليح الخفيف. وشنت المجموعة الأولى من الرتل الإسرائيلي هجوماً عنيفاً على بلدة خان يونس، غير أنها أخفقت، فكررت الهجوم مرات عديدة لمدة يومين، وكانت القوات الفلسطينية تردها وتدمر مدرعاتها. وتحت التحدي والضغط، اضطرت المجموعة إلى ترك خان يونس محاصرة والتوجه إلى رفح. واستنفذت المجموعة ما بقي لديها من احتياط، وعززت الرتلين المدرعين برتل ثالث، فتصدت لهما القوات المصرية بالأسلحة المضادة للدروع، مما اضطر القوات الإسرائيلية إلى التحول نحو العريش والتقدم باتجاه الشيخ زايد وإلى مناطق العريش(6) .

المراجع:

(1) الموسوعة الفلسطينية، ج6، ص 520، ياسين.

(2) الموسوعة الفلسطينية، ج6، ص 522 .

(3) المرجع السابق،ص 525 .

(4) المرجع السابق، ص 530 .

(5) فلسطين في الذاكرة.

(6) كل المجازر الواردة، مصدرها (الذاكرة الفلسطينية، إنترنت)

الفصل الثامن: أدب المقاومة السلمية

لعبت المقاومة الفكرية الفلسطينية دوراً رائداً في مقاومة الطامعين بأرض العرب وبشكل خاص فلسطين، وكانت الثقافة الفلسطينية الفكرية هي المتقدمة منذ انتهاء الحكم العثماني، وتنبه أبناء فلسطين قبل غيرهم بالخطر واستعدوا له بالعلم والمعرفة، وانخرط نشاطهم في وحدة العرب، وكان المتنورون منهم يسعون إلى وحدة العرب فقوتهم بوحدتهم، ولم يفكروا مطلقاً بالقطرية، فقد جمعتهم الجامعة العربية بميثاق هد جمعهم، ونشأت الجامعة بسبعة دول وصارت الآن 21 دولة، فضاعت الأمة وتفسخت أوصالها بقادة قاتلوا الوحدة واجتثوا جذورها، ونحن نرى إن جاء الدور على الإسلام يجردونه من الرحمة والسلام والإخاء، يزورون ويشوهون المفاهيم والحقائق، ينهبون أموال العرب بأيدي سفهائهم، يحرمونها على شعوبهم ويحللونها لعدوهم الذي ضبعهم بخلق عدو جديد، يهرولون في نجدتهم وهم أصل الفتن والبلاء. إنني يا أخوتي عندما أكتب عن القرى التي باتت مدناً وبلدات في فلسطين، رأيت ولمست أبناء هذا الشعب كم هو جبار حقاً، إذ ليس هناك قوة في العالم تستطيع إذلاله، وإني أقدم للقارئ كيف يسعى هذا الشعب في حبه لوطنه أن يعمل المعجزات، وقد فعل، ومنها قوته الفكرية التي تجاوزت ثقافة أبناء العرب أجمعين، وتتجلى بما يلي: المجموعة بالصراع السياسي-الاجتماعي داخل فلسطين المحتلة، ولا تغيب عنها الروح التفاؤلية.[1]

التمثيل والمسرح

بدأت الحركة المسرحية في فلسطين في الربع الأخير من القرن التاسع عشر، واشتد ساعدها في أوائل القرن العشرين، وخصوصاً بعد الحرب العالمية الأولى.

وقد نشطت الحركة في المدارس، إذ كانت تقوم كل مدرسة بعرض مسرحية أو أكثر في نهاية كل عام دراسي. وأول ما بدأت الحركة المسرحية في مدارس الإرساليات، وغايتها نقل أدبها وثقافتها إلى فلسطين، مثل مسرحيات موليير وكورني وشكسبير. بينما كانت المسرحيات في المدارس العربية تتجه لإبراز تاريخ أمتهم، فقد ظهرت مسرحيات "جابر عثرات الكرام" و"جريح بيروت" و"عنترة العبسي" و"صلاح الدين الأيوبي" و"مملكة أورشليم" و"طارق بن زياد" و"فتح الأندلس". وفي العقد الثاني من القرن العشرين برز اثنان من المثقفين الفلسطينيين بدور ملموس في نمو الحركة المسرحية ذات الطابع الوطني والقومي، وهما خليل بيدس الذي أخرج بين عامي 1924-1928م في الناصرة مسرحية (السموأل) أو "وفاء العرب" لأنطوان الجميل. أما الثاني فهو الشيخ محمد الصالح، مؤسس مدرسة روضة المعارف الوطنية. وقد مثلت مدرسته عدة مسرحيات، أهمها مسرحية "عبد الكريم الخطابي" التي تندد بالاستعمار الإسباني في المغرب، وذلك بين عامي 1927-1928م.

وقد زارت الفرق المسرحية الثلاث المصرية (فرقة جورج أبيض وفرقة رمسيس وفرقة نجيب الريحاني) فعرضت مسرحياتها في القدس، فألهبت الحماسة في قلوب شبان فلسطين وحرصهم على إنجاح مسرحياتهم وتطويرها، فأقبلوا على التمثيل. ولعل أهم الفرق المسرحية التي تأسست في الثلاثينات من القرن العشرين فرقة نصري الجوزي، إذ كان يديرها ويكتب لها ويمثل فيها.

[1] الموسوعة الفلسطينية، خاص مج5، ص 25.

وتأسست في حيفا عدة جمعيات أدبية تمثيلية، منها جمعية الشبيبة المسيحية التي كان يترأسها أديب أجدع، وفرقة الكرمل التمثيلية برئاسة اسكندر أيوب، وقد مثلت رواية "هاملت" لشكسبير، وكانت من أقوى الفرق التمثيلية. وتتابعت الفرق المسرحية تتوالى في المدن يافا وعكا والقدس. وبعد الحرب العالمية الأولى ظهر للوجود عدد من الجمعيات الأدبية والفنية.

ولما تأسست الإذاعة الفلسطينية في 1936/4/1م، وأدار القسم العربي منها الشاعر إبراهيم طوقان، راح يخطط لتنمية حركة التمثيل داخل الإذاعة وشجع التأليف بالاعتماد على التراث العربي، رغم مضايقة سلطة الانتداب والصهاينة له، وتحدى الجميع وشجع فرقة (الحوزي).

أول فرقة إذاعية على المضي في تقديم المسرحيات التي تعالج المشكلات الاجتماعية، وأشهر الفرق هي فرقة موسى سالم سلامة، وفرقة هواة التمثيل والموسيقى برئاسة سكري السعيد وحسين عفيفي. من أوائل الذين ساهموا بالتأليف المسرحي محمد عزة دروزة، صاحب رواية "وفود النعمان على كسرى أنو شروان" التي طبعت في بيروت عام 1918م، ثم تحولت إلى مسرحية مثلها طلاب من مدرسة النجاح في نابلس.

ومن رواد كتابة المسرحية نجيب نصار صاحب جريدة الكرمل، إذ كتب مسرحية "شمم العرب" سنة 1914م، ومسرحية أخرى "وفاء العرب" سنة 1929م. وكان أول من كتب للمسرح المدرسي نصري الجوزي عام 1935م، وله مجموعتان "ذكاء القاضي" و"العدل أساس الملك" أو"لن أبيع أرضي" و"عيد الجلاء" و"فلسطين لن ننساك". وفي عام 1934م أقدم المدرسان شقيق ترزي ووديع ترزي بتأليف مسرحية "في سبيلك يا وطن"، وقد لاقت رواجاً مرموقاً.

ومن الذين ساهموا في نشر التمثيل المسرحي الأرشمندريت استيفان جوزيف سالم، وهو من مواليد الناصرة، وكان يصلح اللغة العربية في بيت لحم والقدس، وله عدة مسرحيات مدرسية: "السجناء الأحرار - غرام الميت - قبلة المحبة – صراع بين العلم والإيمان.... إلخ."

ومن المؤلفين المسرحيين عزيز ضومط من أبناء حيفا، ومن مسرحياته التي كتبها بالألمانية "حسن" وترجمت للغة العربية ومثلت في القدس في الأربعينيات، ثم "والي عكا" التي مثلت بنجاح على المسارح في ألمانيا.

وقد ساهم الشعر في بناء المسرحية الفلسطينية، فقد قدم الشاعر برهان الدين العبوشي المولود في جنين المسرحيات الشعرية التالية: "وطن الشهيد" عام 1947م، "شيخ الأندلس" 1949م، "حرب القادسية" 1951م، "الفداء" 1968م.

وأصدر الشاعر محي الدين الحاج عيسى المولود في صفد سنة 1897م مسرحية "مصرع كليب" 1947م، "أسرة الشهيد" عن أحداث النكبة سنة 1966م، وهو صيدلي وبقي في حلب.

وقد أسهمت المرأة الفلسطينية في نشاطات المسرحيات في الإذاعة والمسرح، فكتبت الأديبة المعروفة أسمى طوبي عدداً من المسرحيات عام 1938م، مثلت في جمعية الشبان المسيحية ومقهى النزهة، وهي "نساء وأسرار"، و"صبر وفرج"، "قيصر روسيا ومصرعه"، "أصل شجرة الميلاد."وكتب غسان كنفاني من المسرحيات (الباب، القبعة والنبي، جسر إلى الأبد) وصدرت جميعها سنة 1978م بعد استشهاده.

تأسس مسرح الغربال في شفاعمرو وهو أكبرها، وهو مسرح قومي عربي، وأحد أشهر الممثلين فيه هو سعيد سلامة الكوميدي المعروف. وتميزت هذه الفرق المسرحية في القرى العربية الواقعة تحت الاحتلال في نحو نشاطاتها المتنوعة الأهداف. إلا أن سلطات الاحتلال كانت دائماً تلاحق وتراقب مثل هذه النشاطات. وقد تعرضت فرق المسرحية لنوعين من الرقابة: فرقة تعمل داخل الخط الأخضر وأخرى في خارج خط الجدار (الضفة الغربية)، خاصةً في المناطق الواقعة تحت

مراقبة الحاكم العسكري الذي حاول القبض على أعضاء الفرق المسرحية. وقد منعت مسرحيات كثيرة من قبل الحاكم العسكري وحسب مزاجه في تسلطه وحقده على أبناء المناطق المحتلة وتحدي إرادتهم. ومن جملة المسرحيات التي منعت من العرض مسرحية "أنا راجع يما" لمسرح آذار، ومسرحية "رجال في الشمس"، ومسرحية "كان الموت ونحن على الميعاد" لمسرح أبناء شفاعمرو. ومنعت الشرطة بشكل مباشر عرض مسرحيتين كان من المفروض أن تعرض في مهرجان المسرح العربي الأول في فلسطين المحتلة، وهددت المشاركين في المسرحيتين بالاعتقال ومداهمة القاعة أثناء عرض المسرحية وضربهم على خشبة المسرح، والمسرحيتان هما (ثمن الحرية) لمسرح عبلين ومسرحية (الناطور) لمسرح الشبيبة الشيوعية في طمرة. كما منع عرض المشاهد المسرحية من أمسية "يوم الطاحونة" يوم أن أشرفت عليها المؤسسة الشعبية للفنون، واحتجزت الرقابة نص مسرحية (إجازة) لمسرح الغربال ستة أشهر ثم اضطرت إلى السماح بعرضه. وإن فرقة الغربال في شفاعمرو تأسست عام 1967م، وقد قدمت كثيرة منها على سبيل المثال لا الحصر (رجال في الشمس - بنادق السيدة كرام - الملك هو الملك - والحضيض - الصوت الغجري). كما أصدر مسرح الغربال كتاباً يتضمن النص الكامل لمسرحية (كفى) التي عرضها على خشبته. وبادرت فرقة الغربال إلى إقامة مهرجان المسرح العربي الأول في فلسطين، وقد عقد في شفاعمرو بتاريخ 6،7،8 /9/ 1982م. وشاركت فيه بعض الفرق المسرحية في الجليل. وقد منعت السلطات الإسرائيلية عرض المسرحيتين في المهرجان، هما (ثمن الحرية لفرقة الشبيبة الشيوعية في طمرة للكاتب سليم مخولي). وقامت الشرطة أيضاً باستدعاء مجموعة من المشرفين والمشاركين في المهرجان في محاولة لإرهابهم. وبعد انتهاء المسرح العربي الأول في فلسطين اتفقت الفرق المشاركة على إنشاء "رابطة المسرح العربي". وقد ظهرت في الأراضي المحتلة هيئات وطنية ترعى شؤون الفن والفنانين وتقدم لهم الدعم المادي والمعنوي، فنشأت في عام 1982م المؤسسة الشعبية للفنون ومقرها (حيفا) ويديرها الشاعر سميح القاسم.

ومن الخطوات والنشاطات الملقاة على الفنانين الفلسطينيين العرب الدعاية في الخارج والتركيز على زيف الدعاية الصهيونية، وذلك بإظهار الحقائق بالوثائق والحجة القانونية، كشف زيف الدعاية الصهيونية بأن المقاومة (إرهاب)، بإبراز ما قامت به إسرائيل ومنظماتها الإرهابية، وتوضيح محاصرة غزة لزمن طويل ولا يزال على مرأى وسمع العالم كله.[1]

وقد بقيت فرقة بلالين حتى منتصف السبعينات من القرن العشرين أقوى الفرق المسرحية في الأرض المحتلة، التي قامت بمسرحيات قصيرة تعرض في الهواء الطلق داخل الحديقة الواسعة التي تحيط بمقر الفرقة. وقد كانت أبرز العروض لها (يونس الأعرج) لناظم حكمت. وتجدر الإشارة إلى أنه أثناء التجارب التي كانت تجريها الفرقة (بلالين) في تأليف مسرحياتها وإخراجها، ولا سيما أثناء عملية وضع الألحان التي تناسب المضمون المسرحي، وقد رأى البعض منهم تضمين المسرحيات بعض الأناشيد والأغاني ذات الصلة تخدم الأهداف الوطنية العامة التي يريدون تحقيقها، وأصبحت تلك الأناشيد مشهورة تطبع على أسطوانات تباع في الأسواق وتوزع على كل أنحاء فلسطين. وقد لفت النظر إلى نشاط فرقة الفنون الشعبية (بلالين) ومدى تطورها، وما قدمته من رقصات شعبية، وتجلت قدراتها في المهرجان الكبير الذي نظمته في مدينة رام الله في آب/1973، إذ قدمت خلاله ستة عشر عرضاً حازت إعجاب الجماهير التي بادرت إلى مشاهدة أعمال المهرجان قادمة من سائر المدن والقرى في الأرض المحتلة. وقد برزت في هذا المهرجان مواهب عدد من الممثلين. وفي 1975/4/28 شهدت الضفة الغربية المحتلة مهرجاناً مسرحياً شاركت فيه أربع فرق مسرحية هي بلالين (وبلا-لين) ودبابيس وكشكول، وكان قد سبقه المهرجان المسرحي الأول في البيرة أيلول/1973. وأتيح لتجربة بلالين أقوال نقدية تؤرخ سيرتها مثل عطية أبو رميلة وفوزي السكري وواصف ضاهر وإيليا الشوملي ونجوى قعوار فرح. وقد بقيت فرقة بلالين حتى منتصف السبعينات من القرن

الماضي أقوى الفرق المسرحية في الأرض المحتلة، وتعتمد الفرقة على النصوص المحلية التي يكتبها عادةً سامح العبوشي أو فرانسوا أبو سالم. والمسرحيات التي لـ (بلالين) هي: "قطعة حياة والعتمة"، و"نشرة أحوال الجو"، و"الكنز"، و"تع تخرفك يا صاحبي". ويرى محمود شقير أن أبرز القضايا والمضامين التي طرحتها هذه المسرحيات تلخص في النقاط التالية:

1. انتقاد التخلف الاجتماعي وتسليط الضوء على نماذج اجتماعية رجعية ومتخلفة، مثل (قطعة حياة) و(العتمة).
2. معالجة أوضاع المرأة في المجتمع الفلسطيني وضرورة منحها الفرصة في ممارسة مسؤولياتها في المجتمع (قطعة حياة والعتمة).
3. النقد الحاد للأفكار الغريبة التي تسهم في إشاعة الروح الاتكالية بين الجماهير (نشرة أحوال الجو).
4. إبراز أهمية الأرض وضرورة المحافظة عليها وعدم التفريط فيها ثم صيانتها من طمع الغرباء والغزاة (الكنز).
5. تصوير الأوضاع القاسية التي تعيشها الجماهير في ظل الاحتلال وضرورة تجاوز هذه الأوضاع بتوحيد الجهود وتحمل المسؤولية في (العتمة).
6. إبراز الدور القيادي للطبقة العاملة في عملية بناء المجتمع وتطويره من حيث الطبقة الأكثر ثورية والمنتجة للخير المادي (الغنمة).

وفي تجربة بلالين جوانب مضيئة في تجربة المسرح الفلسطيني في الأرض المحتلة عام 1948، إذ قررت إنشاء "جريدة المسرح"، أي أن يقوم عدد محدود من ممثليها تقديم عرض مسرحي لا يتجاوز خمس دقائق بإحدى المدارس أو على ناصية إحدى الشوارع بهدف تثقيف الجماهير مسرحياً. وقد أسست الفرقة أيضاً مجموعة أصدقاء (بلالين) التي تتكون من شبان وشابات يهتمون بالمسرح ويقومون بالدعاية لأعمال الفرقة، ويلصقون الإعلانات على الجدران ومناصريها. ولكي تغطي الفترات الواسعة بين عروض المسرحية، قدمت (بلالين) كثيراً من العروض الخفيفة التي أطلقت مجازاً اسم "بستان (بلالين)"، وذلك أن هذه الأعمال المسرحية القصيرة كانت تجري في الهواء الطلق داخل الحديقة الواسعة التي تحيط بمقر الفرقة.

وقد كان أبرز العروض (يونس الأعرج) لناظم حكمت. وتجدر الإشارة إلى أنه أثناء التجارب التي كانت تجريها الفرقة (بلالين) في تأليف مسرحياتها وإخراجها، ولا سيما أثناء عملية وضع الألحان التي تناسب المضمون المسرحي، رأى أعضاؤها ضرورة تضمين بعض الأناشيد والأغنيات ذات الصلة الوثيقة بالأهداف الوطنية العامة التي يرمون إلى تحقيقها، فأصبحت تلك الأناشيد والأغنيات تنزل على أسطوانات يجري بيعها وتوزيعها في مختلف أنحاء فلسطين. وقد لفت نشاط فرقة الفنون الشعبية التابعة و(بلالين) ومدى تطورها الفني من خلال المهرجان الكبير الذي نظمته في مدينة رام الله في آب عام 1973م، إذ قدمت خلاله ستة عشر عرضاً حازت إعجاب الجماهير التي بادرت إلى مشاهدة أعمال المهرجان آتيةً من سائر المدن والقرى في الأرض المحتلة. وقد برزت في هذا المهرجان مواهب عدد من الممثلين. وفي 1975/4/28م شهدت الضفة الغربية المحتلة مهرجاناً مسرحياً شاركت فيه أربع فرق مسرحية هي (بلالين) و(بيالين) و(دبابيس) و (كشكول). وكان قد سبقه المهرجان المسرحي الأول في البيرة أيلول عام 1973م، وأتيح لتجربة (بلالين) أقوال نقدية تؤرخ مسيرتها مثل عطية أبو رويلة وفوزي البكري وواصف ضاهر وإيليا الشوملي ونجوى قعوار فرح.[2]

أما الكاتب اللامع إميل حبيبي ومسرحية المأساة في (لكع بن لكع): فقد أصدر الروائي حبيبي حكاية مسرحية "لكع بن لكع" راوياً سيرة الزواج الفلسطيني منذ عام 1948م حتى أواخر السبعينات، مروراً بأحداث الأردن ولبنان ومعاهدة كامب ديفيد،

في ثلاث فصول أو ثلاث جلسات أمام صندوق العجب. وحكاية المسرحية لا تتقيد بقوانين الفن المسرحي، وذلك أنها لا تقع على وحدة الزمان والمكان، ولا نشعر بترابط الأحداث أو تنامیها. فكل فصل قائم بذاته، وكل مشهد وحدة مستقلة. ويصدِّر حبيبي مسرحيته بحديث نبوي شريف يستخدمه عنوانها: "لا تقوم الساعة حتى يلي أمور الناس لكع بن لكع". واللكع هو اللئيم والعبد والأحمق، ومن لا يتجه نحو المنطق ولا غيره. وكان الكاتب يشير إلى نهاية الحاكم المتسلط ودنو نصر الشعب. والإهداء إلى حنين وفرح (حتى يكون اللقاء بينهما فرحاً) فالأول الفلسطيني تحت الاحتلال والثاني هو الفلسطيني عبر الحدود، ويتعزز الإهداء بمقطع من قصيدة لتوفيق زياد تتصدر المشهد الأول من الجلسة الأولى: "أنا معكم أشد على أياديكم وأبوس الأرض تحت نعالكم / وأقول أفديكم / فمأساتي التي أحيا نصيبي من مآسيكم."(موسوعة الفلسطينية، مجلد 4 خاص، ص 233، محمود شريح).

ويعلن إميل حبيبي في المشهد الأول من الجلسة الأولى خروجه عن المألوف في البناء المسرحي: "لا مسرح ولا من يتعبون. بل جمهور من أهل الحارة ونحن من أهلها يجتمعون لقضاء أمسية أسطورية مع صندوق العجب". ويوضح الهوية "المتشائمة" للمسرحية: "فقد قيل لنا أن ثمن الفرجة على صندوق العجب رغيف من الخبز العربي الذي لأمر ما أبقوا على عروبة اسمه، وقد وقعوا في هذا الإهمال الأمني حرصاً على الاضطهاد القومي الذي في البدء كان برغيف الخبز العربي في بلادنا أغلى ثمناً من الخبز الإفرنجي بقرار من الدولة، وما أدراك ما الدولة قطعت عنه الإعانة الحكومية المقررة لسواه."

وبطلة الفصل الأول هي (بدور) أو مجنونة بدر، وبدور هي الأرض والقضية والأم الرمز تحن إلى أبنائها. وبطل الفصل الثاني هو بدوره رمز الإنسان الفلسطيني الرافض للمساومة والمتشبث بأرضه. أما بطل الفصل الثالث فهو (المهرج) رمز الإنسان العربي الذي يعاني التشرد والغربة. ولأسماء الشخصيات الأخرى دلالات عميقة، فسعدي هو الإنسان العربي، وسعادية هو اليهودي، وبدران وبدرية وبيدر هم رمز الشباب العربي الواعي، وأبو شارب هو رمز الفلسطيني الواعي، وأبو شاربين رمز الفلسطيني المندفع، وشارب الدم رمز الفلسطيني المتطرف، وشهرزاد دلالة على البرجوازية العربية، والسندباد يرمز إلى الشعوب العربية، وقلب الأسد للصهيونية المتعفنة. وست الحسن والجارية نموذج للإمبريالية. وهؤلاء كلهم يشتركون في صندوق العجب أو صندوق العجائب، يصوروا ثلاثة عقود من التحول السياسي العنيف الذي طرأ على فلسطين وأهلها وجوارها. ولغة المسرحية تستفيد من التراث الشعبي ولاسيما قصة الزير سالم أبي ليلى المهلهل الكبير، فتظهر اقتباسات حبيبي منها، ويبرز تأثره بها حين يلجأ إلى السجع والجناس والتلاعب.

ومن رواد الفن السينمائي في الوطن العربي آل لاما من بيت لحم[3]، قام السيد عبدالله إبراهيم الأعمى من بلدته بيت لحم مهاجراً إلى تشيلي في أمريكا الجنوبية، وتزوج من امرأة فلسطينية مهاجرة اسمها (ليزا خليل بشارة) في عام 1850م، وأنجبت له ثلاثة أبناء "عيسى، إبراهيم، بدر". وقد تعلم إبراهيم وأخوه فن التمثيل والكتابة والإخراج، وقررا التوجه إلى حيفا بفلسطين ليؤسسا مركزاً للتمثيل هناك، وسافرا بحراً في باخرة قاصدين مصر أولاً، وعند اقترابهم من ساحل الإسكندرية تعرض بدر لوعكة صحية، فنزلا إلى المدينة للعلاج فاستأجرا بيتاً فيها وطاب لهما المقام، وقررا العمل بالسينما المصرية، فأسسا شركة "كوندور فيلم" عام 1927م في الإسكندرية لعمل أفلام سينمائية مصرية تصور في مصر. وكان أول فيلم قدماه فيلم روائي مصري صامت في تاريخ السينما المصرية وهو (قبلة) للأفلام والفنانين السينمائيين. في مطلع القرن العشرين وتحديداً في العقد الثالث ظهر الأخوان بدر وإبراهيم الأعمى اللذان اتخذا مهنة التمثيل والتصوير والإخراج السينمائي وذلك في تشيلي بأمريكا الجنوبية، وعمدا إلى العودة للعمل في موطنهما فلسطين. وإليك عزيزي القارئ نبذة قصيرة عن جهودهما وما قدماه من ولادة التمثيل السينمائي:

- **بدرعبد الله إبراهيم الأعمى (لاما) :**ولد بتشيلي في 1907/4/23، وهو ممثل سينمائي فلسطيني، هاجر في بداية حياته إلى أمريكا الجنوبية ثم رجع مع أخيه إبراهيم إلى مصر بالباخرة ومعهم المعدات والكاميرات وكل ما توفر لهم من أجهزة للعمل في حيفا، ولكن بسبب مرض بدر توجهوا إلى الإسكندرية للاستشفاء، وهناك استقرا وكونا ثنائياً ناجحاً وعملا معا في الكتابة والتمثيل والإخراج، ثم أسسا سوياً شركة إنتاج سينمائي تدعى "كوندور فيلم". وعقب انتهائه من فيلم (البدوية الحسناء) في عام 1947، أصيب بدر لاما بذبحة صدرية توفي على أثرها في 1947/10/1. وقد أقام أهالي بيت لحم حفلة تأبين لإحياء ذكراه. وبعد وفاة بدر:

اختار إبراهيم ابنه سمير عبد الله ليحل محل عمه بدر، فشارك سمير بطولة فيلم (الحلقة المفقودة) مع الممثلة الشابة الصاعدة فاتن حمامة في عام 1948، كما الممثلة عفاف شاكر في فيلم (سكة السلامة) في عام 1949، والفنانة شادية في فيلم (عاصفة في الربيع) في عام 1951، والممثل بشارة واكيم في فيلم (كنز السعادة)، والممثلة ماجدة والممثل محمود المليجي في فيلم (القافلة تسير). وفي غفلة من الزمن اندلعت النيران والتهمت جميع محتويات استوديوهات لاما بما فيها من أشرطة أفلام، وتوالت النكبات على العائلة، ودب الخلاف بين إبراهيم وزوجته انتهى بموت إبراهيم في ليلة 12 مايو 1953. وتراكمت الضرائب على الاستوديوهات انتهت بختمها بالشمع الأحمر وانهارت العائلة. أما جوزفين سركيس (بدرية رأفت) أرملة المرحوم بدر، فلم تقم إلا بدور بطولة واحد في فيلم (اللقاء الأخير) في عام 1953 مع عماد حمدي ومحسن سرحان وزهرة العلا، ثم اعتزلت السينما لتكرس حياتها لبناتها وأحفادها. أما سمير عبد الله إبراهيم لاما، وبالرغم من محاولاته المتكررة في العمل السينمائي بما فيه تجربته القصيرة في لبنان في الستينات من القرن العشرين كأفلام (وادي الموت) و(صقر قريش) (القاهرون)، إلا أن الحظ لم يحالفه فاعتزل العمل السينمائي.

أهم أفلامهم السينمائية:

- فيلم قبلة الصحراء عام 1927.
- فاجعة فوق الهرم عام 1928.
- معجزة الحب عام 1931.
- شبح الماضي عام 1934.
- معروف البدوي عام 1935.
- الهارب 1936.
- عز الطلب 1937.
- نفوس حائرة 1938.
- الكنز المفقود (قيس وليلى) 1939.
- رجل دين بن امرأتين 1940.
- صلاح الدين الأيوبي 1941.
- ابن الصحراء 1942.
- عريس الهنا 1944.

- البيه المزيف 1945.
- البدوية الحسناء 1947.

إبراهيم لاما: سبق لأبيه عبد الله إبراهيم سعيد الأعمى، حارة الفرحية في بيت لحم ولد فيها في منتصف الصحراء إذ عرض في سينما "الكوزموجراف" في الإسكندرية.

وفي عام 1930 انتقل الأخوان إلى القاهرة بعد أن اتسعت مشاريعهما السينمائية، وبعدما قدما فيلمهما الثاني (فاجعة فوق الهرم) عام 1928م بطولة بدر لاما وفاطمة رشدي، ثم أسسا استوديو لاما.

إبراهيم لاما هو أول من صور في غابات السودان وكينيا وأحراشها ليصور فيلمه (الحلقة المفقودة) عام 1948 و(القافلة تسير) عام 1951م.

قدم إبراهيم لاما للسينما المصرية 30 فيلماً خلال 24 سنة، وعمل مع كبار النجوم مثل" فاطمة رشدي، آسيا داغر، ماري كويني، بهجة حافظ، زكي رستم، أمينة رزق، بديعة مصابني، رجاء عبده، مديحة يسري، ليلى فوزي، شادية، بالإضافة إلى شقيقه بدر وابنه سمير.

تعرض الاستوديو لحريق والتهمت النيران كل محتويات أستوديوهات لاما من أشرطة الأفلام، وتوالت النكبات وتراكمت الضرائب على الأستوديوهات ثم تبعها إغلاقها بالشمع الأحمر وانهارت العائلة.

دب الخلاف بين إبراهيم وزوجته وانتهى بموت إبراهيم (انتحاراً) في ليلة 1953 بعد أن أطلق النار من مسدسه على زوجته ثم أطلق النار على نفسه وانتحر.

المراجع

(1) الموسوعة الفلسطينية، خاص، واصف أبو كمال، ج76، ص 129.

(2) الموسوعة الفلسطينية، خاص، محمود شريح ص 168- 169.

(3) المرجع السابق، ص 169.

(4) أعلام فلسطين، محمد عمر حمادة، ج1، ج2، ج3، ج4، ج5، ج6، ج7، ج8

الفصل التاسع: سياسة الانتداب البريطاني في إقامة دولة إسرائيل

سياسة الانتداب البريطاني والصهيوني في شعب فلسطين: منذ أن وطئت بريطانيا فلسطين واحتلتها عام 1918م، عملت على تنفيذ وعد بلفور في إقامة وطن قومي لليهود بكل ما يلزم من تيسير الهجرة وسلخ أراضٍ، وتشجيع المؤسسات من مدارس وجمعيات ونوادي وطرق ومواصلات ومرافق من موانئ بحرية ومطارات ومعسكرات، وكبح لأصوات المعارضة من اعتقال وإعدامات لشعب فلسطين. وبقيت بريطانيا ثلاثين عاماً حتى سنة 1948م، وقد أمنت للصهيونية دولة قائمة على طبق من ذهب، تاركة شعب فلسطين يئن تحت احتلال إسرائيل، وزادت الإمبريالية الأمريكية من تقوية الصهيونية حتى باتت السلطات الصهيونية تهدد العرب والمسلمين في عقر ديارهم، وساعدتهم في التمادي على حكام العرب أجمعين. ومن الممارسات التي واجهها الفلسطينيون والعرب من بريطانيا وإسرائيل:

في الزراعة: أرض فلسطين خصبة، تربتها ومناخها المعتدل من حرارة ومطر، وأودية دائمة وسيلية، وينابيع دائمة، وخبرة قديمة متطورة، كلها جعلت فلسطين غنية بزراعتها، والكل يعلم بهذه الشهرة والغنى من قديم الزمان. لذلك كانت محط أنظار الطامعين من جوار وأغراب، مرت بها القوافل العالمية وداستها الجيوش الغازية، وتقلبت فيها السلطات والعروش، طرحت بأسواقها بضائع الأمم والشعوب من توابل هندية وكتان وقطن وسكر مصري، وبن يمني، ونسيج دمشقي، وصباغة فينيقية، وزجاج وفخار ونحاس كنعاني، وحديد فلسطيني، وسيوف شامية بأشكالها وأنواعها، ونماذج ومجسمات منحوتة في الخشب والحجر والرخام والعظم، إلى جانب القنب والأرز والحبوب والبقول بأنواعها. وكانت التجارة نشيطة بين الأقاليم، والقوافل تسعى بين أقطارها، السفن تبحر البحار محملةً بكل البضائع الخيرة والمؤن، تعين المغيث وتسد أفواه الجائعين وتطفئ السعادة على وجه المحرومين، تبعث الأمل في قلوب القانتين. ولا زالت الفنون وقوالبها تتمتع بها منطقة القدس ورام الله وبيت لحم، من حفر على خشب الزيتون لصنع نماذج متعددة وأشكال متنوعة من ترصيع الخزف بالخشب، وما تنتجه الإناث في رام الله ومحيطها من أشغال غاية في الجمال من حياكة وشغل الإبرة في تطريز الثياب، والتي نالت إعجاب نساء الغرب قبل إناث العرب، وخلقت أسواقاً رائجة للفنانين وما أكثرهم، تعوض ما سلبه العدو من أهل فلسطين.

وباتت هذه الصناعة مصدر رزق لأكثر المواطنين تحت الاحتلال. هذا كان وضع الغزاة الطامعين، ومما زاد مقامها العالمي ظهور الأديان السماوية فيها، بركنها المقدس مدينة القدس الشريف، مدينة السلام والمحبة والإخاء، المؤمنة برب العالمين رب السماوات والأرض أجمعين، لخلق الناس التي لا تعرف التعصب والتمييز والكراهية التي لا تقوم على الغدر. مثل الدولة المنتدبة، عملت خلال الثلاثين عاماً في حكمها لفلسطين على تحقيق هدفها، مقاومة كل المعارضة لهذا الهدف من قتل وإعدامات وسجون ونفي لكل النشطاء من أبناء فلسطين، بينما ساعدت الهجرة الصهيونية، شجعتها ودعمتها، وقدمت للصهاينة وعصاباتهم الدعم العسكري والحماية والتدريب المستمر أمام التجارة، وإغراق الأسواق بالحبوب بأسعار منافسة لأسعار الحبوب المحلية، مما أساء للتجار العرب كذلك للبقول حتى الزيت، صار لها منافس في أسواق فلسطين، والهدف هو إفقار الناس. هذا ما عبر عنه حاكم حيفا جورج ستيوارت في رسالته تقريراً عن انكماش الظروف الاقتصادية وتدهورها، مما له من أثر في موجة الاستياء التي تعم سكان العرب في فلسطين إلى حد تجاوب معه القرويون مع الحملات التحريضية المضادة للحكومة. يتابع هذا الحاكم في رسالته يقول: فالأعمال في عكا وشفاعمرو متوقفة، في حيفا تكاد تكون

جميع أنواع العمل التي تعد بالربح على العرب متدهورة، كما أنه من الواضح أن الحواجز الجمركية في سرية أخذت تقتل الترانزيت. فصاحب الحانوت غير اليهودي للبيع المفرق يتوقف عن العمل، بل أن الحمالين وغيرهم يمارسون أعمالاً مؤقتة، قد أخذ بعضهم يتأثر بسبب الأفضلية التي منحت للمؤسسات اليهودية، أصحاب العمل اليهود يتعاملون إلا للمهاجرين من اليهود الجدد من العمال.

إن سكان المدن يعانون من ارتفاع تكاليف المعيشة والدخل شبه معدوم. أما الطبقات الاجتماعية الأعلى نسبياً كالتجار (الأفندية) فإنهم كادوا يصلون لحالة اليأس، إذ يجدون صعوبة متصاعدة في العيش بمداخيلهم بواسطة أية أعمال أخرى. إن بعضهم يواجه الإفلاس، ليست حالة صاحب الأرض الكبيرة خيراً من ذلك بكثير، فهو مثقل بالدين ليس في وسعه الحصول على مزيد من القروض، فأسعار الحبوب منخفضة، كما أن الأسواق الخارجية مغلقة عملياً في وجهه. إنه ليجد من الصعوبة عليه أن يبيع ما يضطر إلى بيعه من الأراضي بسعر معقول.

يرى ساكن المدينة أن ما يعانيه لن يخفف عنه في ظل حالات العجز والبؤس، إنما هو نتيجة مباشرة للسياسة البريطانية وما يترتب عنه من الهجرة اليهودية. أما البدو فإن عليهم إما أن يتحولوا إلى فلاحين أو يهاجروا خارج فلسطين. فشردتهم واستولت على أملاكهم من عقارات وأثاث وأراضٍ بمراسيم سلطة غاشمة، استغلت مناصرة الاستعمار أمريكا في الأوساط الدولية. من عمليات طرد عرب فلسطين من قراهم في 1951/2/1 طرد إلى خارج فلسطين سكان 12 قرية فلسطينية تقع في وادي عارة في منطقة المثلث، طرد سكان أم الفحم ثم نسفت بيوتهم. اتبع الصهاينة سياسة الطرد الانتقائي الذي يقوم على اختيار لبضع عشرات من الرجال النشيطين من كل قرية وطردهم خارج الحدود لتلحق بهم عائلاتهم. وقد طردت كذلك قبائل بأكملها مثل البقارة التي أجبرت على مغادرة بلدتها بالقوة العسكرية إلى الحدود السورية، وانظم شبانها ورجالها البواسل في كل الانتفاضات والثورات التي حدثت من ثورات الأعوام 1929م و1936م و1948م.

وكم عانت البلدة من حكم جيش الانتداب البريطاني وممارساته القمعية في تفتيش البيوت بحجة العثور على سلاح، فيخلط الجنود مؤن المواطنين مع بعض ويخربون ويسرقون ما طاب لهم، وذلك بغياب أصحاب البيوت من أهلها الذين أخرجوهم من مساكنهم ليجمعوهم في أماكن خاصة ويحظروا التجوال في القرية. كانوا يجمعون النساء والأطفال في باحة مكشوفة أو في أحد البيوت التي تحوي باحة. أما الرجال فيجمعون في مركز آخر، ويجري استجوابهم من قبل الجنود تحت التهديد والضرب المبرح، وإذا تأكدوا أن صاحب البيت له صلة بالثوار يهدمون بيته بالمتفجرات، وكم هدمت بيوت في كثير من قرى فلسطين ومنهم قرية الفريديس. ومن ظلم سلطات الاحتلال انحيازها للمهاجرين الغرباء اليهود ومنحهم كل عوامل القوة مثل: منحهم الأراضي الفلسطينية الخصبة من أملاك الدولة العثمانية، وتنفيذ أوامر المحاكم التي أوصت بإخلاء الفلاحين من أراضٍ اشتراها الصهاينة عن طريق وكلاء من مغتربين ليسوا من فلسطين، كانوا استلموها من الدولة العثمانية، مثل سهل مرج ابن عامر ووادي الحوارث ومنطقة الحولة.

1. إغراق الأسواق الفلسطينية بالمنتجات الزراعية من حبوب وبقول، وعرضها لتضارب الإنتاج الزراعي الفلسطيني وتقضي على حياة الفلاحين.
2. وضع الضرائب على البيوت والبضائع والأراضي، وتحذير من ترك الأرض بدون استغلال وإلا تسحب الأرض من صاحبها إذا تركها أكثر من سنتين بدون زراعة.

3. السماح للمهاجرين اليهود بالدخول وتشجيع الاستيطان، وتنسق مع المنظمات الصهيونية لتنفذ وعد بلفور الاستعماري، رغم وعودها للعرب بالحد من الهجرة عبر الكتاب الأبيض الأول والثاني.
4. عدم التزامها بقرار التقسيم، ومحاولة ردع رجال الهاجاناه من احتلال المدن وبعض القرى، وجيش بريطانيا لا يزال على أرض فلسطين أي قبل إعلان انسحابه المقرر في 1948/5م، مثل حيفا ويافا وصفد والعديد من القرى قضاء يافا.
5. تأسيس بريطانيا جيشاً لإسرائيل القادمة بإشراك الهاجاناه من جيوش الحلفاء في الحرب العالمية الثانية، وكان نواة الجيش الإسرائيلي، بينما كانت المشانق في عكا تعقد كل ثلاثاء من كل أسبوع لتقدم شهيداً على الأقل أسبوعاً، ولم نشاهد خلال هذه فترة الإعدامات أي مشنوق يهودي، علماً أن كثيراً منهم كانوا معتقلين في سجن عكا بعد أن ثاروا ضد الاحتلال البريطاني، وتعليق الجنود البريطانيين على فروع الزيتون وإعدامهم بالجملة. وكان المسؤول عن هذه الجرائم الإرهابي مناحيم بيغن الذي حكمت عليه بريطانيا بعد أن فجر فندق الملك داود عشرين عاماً، وبعد ذلك أصبح رئيساً لوزراء إسرائيل. وقد زرت بريطانيا عام 1977م ولمست الاستنكار، وكانت حجة الحكومة البريطانية بأن الحكم سقط عنه لتقادم التنفيذ، لإمتعاض بين أساتذة جامعة درم. وفي هذا السياق أعرض للقارئ الكريم قصة تعبر عن ردود فعل البشر في محاربة القهر والظلم: كنت من سكان عكا، وفي عام 1947م وفي شهر آب سمعنا انفجاراً هائلاً هز المدينة بشكل عنيف، وكنت أعمل في مكتب أحمد الشقيري الملاصق لسينما البرج فوق بوابة عكا القديمة، وما هي إلا لحظات وقد رأيت سيارة بيك أب مغلقة من فوقها بغطاء وهي تمشي باتجاه البوابة، وأمامها شخصان بلباس جنود إنكليز ويصرخون على الناس في الشوارع بالتزام المحلات. ولما خرجوا من البوابة لاقتهم سيارة جيب بريطانية قرب البوابة، وكان فيها جنديان من جنود الطيران (براشوت)، وعليها رشاش مركب على حامل. ولما رأى الصهاينة سيارة بريطانية أطلقوا عليها النار من رشاشاتهم، وقد أصابوا أحدهم الواقف خلف الرشاش (الهوشكز) فقتلوه فوراً. ولما رأى رفيقه ما حصل وكان يسوق السيارة، لحق بهم وقد ركبت دراجتي ولحقت بهم، وقالوا لي أنهم راحوا عن طريق صفد، وأخذت طريقاً مختصراً أعرفه، ووصلت إلى شمال تل الفخار بعد عين العجلة، ووجدت الجندي قد سبق سيارة الإرهابيين ووقف وراء الرشاش. وما أن اقتربت سيارة الإرهابيين وعرفت سيارة الجندي وأرادت الرجوع والهرب، فما كان من الجندي المفجوع بزميله إلا أن أطلق برشاشه على السيارة وقتل سائقها وانقلبت السيارة، وأخذ المساجين الذين فيها يهربون بين الزرع الجاف، فأخذ يضربهم ويلاحقهم برشاشه ويصليهم ناراً حامية. وكان الأولاد أمامي عندما يرى أحدهم بين الزرع فيصرخ للجندي بقولنا: مستر مستر هذا واحد، فيلقى مصرعه.

وبعد أن تم الجندي مهمته دخل سيارة (الجيب) ونقل رفيقه وضمه إلى صدره ولسان حاله يقول: "لقد انتقمت لك يا عزيزي"، ثم انطلق بسيارته راجعاً إلى حيث كان على شاطئ عكا الشرقي حيث نزل زملاؤه. واليوم لا أعرف مصير ذلك الجندي الذي قتل منهم 22 سجيناً مع جنديين من رجال مناحيم بيغن.

كان الهدف عند منظمة شتيرن تحرير جماعتهم من سجن عكا، إذ كانت الخطة أن تذهب ثلاث سيارات بيك أب إلى مدرسة البنات، وهناك يقومون بغلق الشوارع خلف السجن، ثم يركبون سلالم بحجة تصليح الكهرباء ويحفرون جدار السجن ويفجرونه بالاتفاق مع نزلاء السجن من اليهود، وهذا سبب الانفجار الذي عمل فتحة خرج منها السجناء اليهود، ثم تبعهم السجناء العرب.

6. التعاون البريطاني مع المنظمات الصهيونية العسكرية مما رأيته:

- أن الشهيد أحمد الحنيطي جاء بسيارة مسلحة من لبنان قاصداً حيفا للقاء القوات الصهيونية، عند عبور رأس الناقورة بين لبنان وفلسطين أخبر الضباط الإنكليز رؤساء اليهود بهذه السيارة. ولما وصل الحنيطي إلى عكا حذره الأهالي بأن ينقل الأسلحة عن طريق البحر، ولكن الرجل رأى أنه يتأخر في نجدة إخوانه في حيفا وواصل طريقه، وبعد مغادرته عكا سمعنا من عكا انفجاراً ضخماً وعرفنا بعدها أن الشهيد دمر السيارة بالمتفجرات، واستشهد هو وزملائه، وقتل العديد من الصهاينة في مستعمرة موتسكن. وقد نقل خبر السيارة إلى الصهاينة موظفون إنكليز في رأس الناقورة، ولو أنه أخذ بنصيحة العكاويين لنجا. وقد تبع ذلك الحادث مباشرة رد ثوار عكا.
- توجه أربعة من مهندسي الكهرباء الصهاينة في سيارة إلى نهاريا بحراسة مصفحتين بريطانيتين، وعند قدومها تصدت القوات العكاوية لهما، فعطلت سيارة الحراسة الأولى، وتابعت سيارة المهندسين طريقها، وتناولها الحاجز الثاني وألقوا عليها القنابل عن سطوح المنازل، فقتل السائق وانقلبت السيارة، وأخرج المقاتلون من فيها وقتلوهم انتقاماً للشهيد الحنيطي ورفاقه. لقد شاهدت تلك الأحداث وكنت أراها أمامي، حتى أنني أذكر وأنا أرى جثث القتلى على الأرض، وقد حمل أحد الشباب (شبريته) وصاح قائلاً: (امشوا فوق جثثهم)، وقد حاولت بدوري أن أدوس ولم أكمل لأنني قرفت هذا المنظر، ولم أعد أميز وجه القتيل وقد دمر الرأس تماماً، وبين رعشات رجلي وهي تدوس وكأنني أدوس على فرشة إسفنج، ولم أكمل السير وتألمت من هذا المنظر غير الأخلاقي أبداً.

7. تسليم الإدارة العسكرية البريطانية جميع معسكراتها وما فيها إلى العصابات الصهيونية، وكانت هذه المعسكرات عوناً كبيراً للسلطات الصهيونية ساعدتهم في مواصلة الحرب ضد العرب.

8. لقد أعانت حكومة الانتداب المهاجرين الصهاينة لإنشاء دولة ضمن دولة، لإعلان الدولة الإسرائيلية التي يحتفل الإسرائيليون بقيامها في 28 نيسان من كل عام، بينما لم تسمح للعرب بأي جمعية أو منظمة أو إدارة يمكن اعتمادها لإدارة البلاد بعد رحيل الانتداب عن فلسطين.

هذا شيء من كثير مارسته حكومة الانتداب ضد شعب فلسطين العربي خلال ثلاثين سنة من الاحتلال، من وعد بلفور مروراً بإخماد ثورات عرب فلسطين حتى الجلاء عن فلسطين عام 1948.

أما ما قامت به الصهيونية وما لديها من إعلام، وما أكثره في تزييف الحقائق وقلب المفاهيم، وأركز على البعض منها:

إن فلسطين هي أرضهم، وأن اليهود وعدوا بها، بينما الآثار تثبت عكس ذلك، وأن شعب إسرائيل قد انتهى في حملات نبوخذ نصر ويوليوس الروماني في القرن السابع ق.م والقرن الأول ميلادي، حيث القائد الروماني طيطس دمر الهيكل ولم يعرف مكانه. وأن الدين اليهودي يشكل قومية، وهذا مخالف لكل مقومات القومية، فالديانة اليهودية معتقد، وليس هناك ما يجمع اليهودي اليمني باليهودي الإسكندنافي واليهودي الخزري مع اليهودي الإفريقي، وإذا اجتمع خمسة من المهاجرين من بلدان مختلفة لا تجمعهم لغة أو دم، وهم بحاجة إلى ترجمان لتتم عملية التواصل فيما بينهم.

- قالوا إنهم انتصروا على سبعة جيوش عربية، وإن الواقع غير ذلك.

- إن جامعة الدول العربية تأسست عام 1945م، أي بعد الحرب العالمية الثانية، والدول السبع كانت تحت الاستعمار البريطاني والفرنسي، ولم يمض على استقلالها أكثر من ثلاثة أعوام. وكانت كلها مرتبطة بالإنكليز والفرنسيين، فالأردن كانت مرتبطة بالإنكليز، وجيشها يحكمه ويسيره الجنرال جلوب باشا، وهو القائد الفعلي للجيوش العربية العتيدة، والذي عزله الملك حسين بن طلال وتخلص منه.
- والعراق كان مكبلاً بمعاهدة مع بريطانيا وهي معاهدة 1936م، وأغلب ضباط الجيش من الإنكليز.
- ومصر كانت تحكم بنظام ملكي ومرتبط بمعاهدة مع بريطانيا، والجيش البريطاني جاثم على قناة السويس. وسورية كان لها جيش مستقل تنقصه المعدات والجنود المدربة، إذ قام الضباط الفلسطينيون عام 1949-1950 وهم الذين طوروا وأسسوا الجيش السوري بعد انقلاب حسني الزعيم على شكري القوتلي.
- والجيش اللبناني هو جيش مرتبط بفرنسا ولا يعنيه حرب إسرائيل لا من قريب أو بعيد. واليمن السعيد بعيد عنا آلاف الأميال وتحت حكم الإمامة الذي كان يبيع إمامهم طوابع البريد في ديوانه.
- والسعودية التي كان ملكها مشغول بتوطيد ملكه في الجزيرة العربية، وليس عنده القدرة لتحدي الدول الغربية التي كانت تخطط للسيطرة على إنتاج البترول وبشكل خاص الشركات الأمريكية. وقد سبق للأمين العام للجامعة العربية "السيد عبد الرحمن باشا" ومعه وفد فلسطيني يرجونه بأن يشترط على الشركات بأن تقف حكومتهم مع حق الشعب الفلسطيني وبشكل محايد لا أن تساعد الصهيونية، ولم يقتنع الرجل بهذا الطلب الذي كان لو تحقق لما خرج الفلسطينيون من ديارهم.
- هذه أوضاع الجيوش العربية التي تتبجح إسرائيل بأنها هزمت سبعة جيوش عربية، علماً أن شباب عرب فلسطين وقفوا ضد القوات الإسرائيلية، ولم تستطع الصهيونية احتلال أي قرية خاصة القرى التي كانت بالقرب من الجيش العراقي في منطقة جنين وطولكرم في بلدة الطيبة، إذ أن القوات العراقية ساندت ثوار فلسطين في قرية إجزم وعين غزال وجبع. واستطاعت هذه القرى أن تصمد بعد سقوط حيفا بأربعة أشهر.
- كانت قوات الصهاينة تزيد عن 30 ألف جندي محترف خاضوا مع الحلفاء في الحرب الكونية الثانية، وكان لديهم 32 ألف مقاتل مدربون احتياط.
- قبل الهدنة الأولى كان النصر للعرب ضد القوات الصهيونية.
- تدخلت الدول الغربية لدى القادة العرب وأقنعوهم بالهدنة، واستغل الصهاينة هذه الهدنة فأخذوا يجمعون الأسلحة ووسائل حربية جديدة ومنها الطيران، فيما لم توجد طائرة واحدة تدخل أرض فلسطين.
- إخراج جيش الإنقاذ من المعركة على أساس أن تحرير فلسطين مهمة الجيوش العربية التي استخدم بعضها أسلحة فاسدة كانت تقتل صاحبها أحياناً، مثل الأسلحة المصرية التي كانت مصر حينها مكبلة بمعاهدة والجيش البريطاني صاحب وعد بلفور يحتل قناة السويس.

هذا قليل من كثير وتقصير الجامعة العربية العتيدة، والتي بدأت بسبع دول والآن باتت تضم (21) دولة قطرية تتنافس مع بعضها، والضعف ينهش أهلها وسفاءها: كلاب للأجانب هم، ولكن على أبناء جلدتهم أسود.

المراجع:

(1) أزمة فلسطين بين الحقائق والتزوير، مروان الماضي.

(2) بلادنا فلسطين، ج1، مصطفى الدباغ.

(3) الموسوعة الحرة ويكيبيديا.

الفصل العاشر: انتفاضات شعب فلسطين

و اقع الفلسطينيين بعد النكبة (عرب 1948)

بعدما عرضنا ما قام به الانتداب البريطاني في فلسطين من أنشطة لتثبيت وعد بلفور وقهر أصحاب البلاد، لا بد من استعراض ما فعلته الدولة المحتلة بالشعب الفلسطيني الذي بقي في أرضه بعد النكبة، والذين يطلق عليهم "عرب 1948"، وقد بلغ عددهم آنذاك 120 ألف نسمة.

مارست السلطة المحتلة بحق هؤلاء إجراءات قاسية، منها:

- سمتهم "سكان 1948"، ومنحتهم الجنسية الإسرائيلية، وجردتهم من الجنسية الفلسطينية التي كانوا يتمتعون بها رسمياً في زمن الانتداب. كان هذا القرار مجحفاً وفرض عليهم حياة في جحيم.
- لاحقاً، وتحت ضغط من الرأي العام العالمي الذي بدأ يميل نحو العرب، أزاحت السلطات عنهم الأحكام العسكرية ومنحتهم حرية حركة مقننة، والعمل في التجارة والصناعة. كما سمحت لبعض القرى بتأسيس بلدياتها، مع تخصيص ميزانيات متواضعة لإحداث مرافق أساسية كالكهرباء والماء والهاتف.
- ورغم ذلك، لم يسمح بالبناء إلا عبر رخصة رسمية، كانت تكلف صاحبها الكثير من الوقت والمال، وكثيراً ما قوبلت الطلبات بالرفض.

مظاهر التمييز العنصري

تجلت العنصرية بكل أشكالها، ونذكر منها على سبيل المثال لا الحصر:

- **العمالة والوظائف** :كان هناك تمييز واضح بين المواطن العربي والمستوطن اليهودي، حتى لو تساوت المؤهلات أو تفوقت قدرات الفلسطيني الذهنية والمهنية.
- **الرواتب** :يحصل المستوطن على راتب أعلى من نظيره العربي، حتى مع تساوي المهنة والمؤهلات.
- **التعليم** :تتعامل السلطات مع التعليم في البلدات العربية كدرجة ثانية، سواء من حيث جودة البناء والمرافق، أو الميزانيات المخصصة للمدارس العربية مقارنة بمدارس المستوطنات.
- **الأراضي** :تعاني البلدات العربية من نقص حاد في الأراضي المخصصة للبناء، لأن السلطات صادرت معظم أراضي القرى ومنحتها للمستوطنات المجاورة.
- **التمثيل السياسي** :على الرغم من أن النواب العرب في الكنيست (البرلمان الإسرائيلي) يحق لهم الدفاع عن مطالب جمهورهم، وقد شكلوا كتلة موحدة ذات تأثير، إلا أنهم يواجهون اتهامات متكررة بكونهم "الطابور الخامس" أو "القنبلة الموقوتة"، وتعرض بعضهم للطرد.

ما بعد حرب 1967

بعد احتلال إسرائيل للضفة الغربية وقطاع غزة، حاولت السلطات فتح باب اللقاءات بين الفلسطينيين في هذه المناطق وإخوانهم في الداخل، طمعاً في أن يؤثر هؤلاء على أهل الضفة والقطاع لصالح إسرائيل. لكن سرعان ما تبين لهم أن أملهم

ذهب هباءً. توحدت المشاعر العربية، وزاد تعلق الفلسطينيين في كل مكان بأرضهم. بعد أشهر قليلة، أوقفت إسرائيل هذه اللقاءات وطبقت سياسة الحكم العسكري على الضفة والقطاع.

واجهت المقاومة الاحتلال بكل الوسائل، عبر رؤساء البلديات والمظاهرات. ردت إسرائيل بالنفي والسجن والاغتيال، كما حدث مع رئيس بلدية نابلس بسام الشكعة، في عملية إرهاب دولة منظم.

يوم الأرض والمقاومة في الداخل

في **30آذارعام 1976**، خرج أبناء فلسطين في إضراب عام شامل، عُرف بيوم الأرض، تضافرت فيه كل الفعاليات. بدأت المسيرات من بلدة سخنين في الجليل الغربي، وتخللتها أناشيد وهتافات لمنظمة التحرير الفلسطينية. برزت شعارات مناهضة لإسرائيل على الجدران في قرى الجليل وشفا عمرو وعكا، وبات رفع العلم الفلسطيني حدثاً يومياً تشير إليه الصحف.

وفي منتصف تشرين الثاني، بعد أن قامت السلطات الإسرائيلية بتدمير خمسة عشر بيتاً في قرية الطيبة، أضرب عرب الداخل إضراباً شاملاً أطلقوا عليه اسم "يوم السكن"، لتتصاعد وتيرة الشعارات المعادية للاحتلال.

وفي حزيران عام 1967، احتلت إسرائيل بلدة أم الفحم وطردت مئات العائلات وحرمتهم من العودة إلى منازلهم.

الانتفاضة الأولى: انتفاضة الحجارة (1987)

كانت شرارة الانتفاضة الأولى من مخيم جباليا في قطاع غزة في 9 **كانون الأول (ديسمبر) 1987**، أثناء تشييع أربعة شهداء سقطوا قرب حاجز إيرز. أطلق الجنود النار مجدداً، فاستشهد شخصان وجرح ستة وعشرون آخرون بينهم أطفال. عمت الانتفاضة قطاع غزة ثم امتدت إلى الضفة الغربية.

في اليوم الثالث عشر، شهدت البلاد إضراباً عاماً لم تشهد له مثيلاً منذ الاحتلال. بدأ اليوم بتلاوة القرآن في المساجد وقرع أجراس الكنائس، وانطلقت الجماهير في كل المدن والمخيمات. خرجت جماهير الأرض المحتلة عام 1948 في الناصرة وحيفا وعكا وحتى صحراء النقب، كما شارك أهل الجولان في مجدل شمس.

نتائج الانتفاضة الأولى:

- **الخسائر البشرية** :استشهد 1162 فلسطينياً بينهم 241 طفلاً، وأصيب نحو 90 ألفًا، واعتقل 15 ألفًا. من الجانب الإسرائيلي، قتل 160 إسرائيلياً بينهم 5 أطفال.
- **الخسائر المادية** :دمر الاحتلال 1228 منزلاً، واقتلع 140 ألف شجرة. افتتحت إسرائيل سجوناً جديدة لاستيعاب الأسرى، أبرزها سجن كتسيعوت في النقب عام 1988.
- **النتائج السياسية** :حققت الانتفاضة اعترافاً دولياً (أمريكياً وإسرائيلياً) بأن سكان الضفة والقطاع جزء من الشعب الفلسطيني وليسوا أردنيين. أدركت إسرائيل أنه لا حل عسكري للصراع، وبدأ البحث عن حل سياسي، مما مهد لمؤتمر مدريد ولاحقاً لاتفاق أوسلو.

من الانتفاضة إلى أوسلو

أدت حرب الخليج الثانية إلى تغيير في المزاج الإسرائيلي، وشعرت إسرائيل بثقة أكبر للقيام بمبادرات سياسية. انعقد مؤتمر مدريد للسلام، تلته مفاوضات سرية أدت إلى **اتفاق أوسلو**، الذي نص على:

- انسحاب إسرائيلي تدريجي من المدن الفلسطينية، بدءاً من غزة وأريحا عام 1994.
- اعتراف متبادل بين منظمة التحرير الفلسطينية وإسرائيل.
- إنشاء السلطة الوطنية الفلسطينية.
- توقيع "أوسلو 2" عام 1995 لتوسيع الحكم الذاتي وإجراء انتخابات فلسطينية عام 1996، ونقل صلاحيات في مجالات التعليم والصحة والثقافة والسياحة والضرائب.

الانتفاضة الثانية: انتفاضة الأقصى(2000)

شعر الفلسطينيون بإحباط شديد مع نهاية الفترة المقررة لتطبيق الحل النهائي، بسبب مماطلة إسرائيل وجمود المفاوضات، واستمرار الاستيطان والاغتيالات والاجتياحات، ورفض الإفراج عن الأسرى وعودة اللاجئين.

كانت شرارة الانتفاضة في **28أيلول (سبتمبر) 2000**، عندما اقتحم أرئيل شارون المسجد الأقصى وتجول في ساحاته، معلناً أن الحرم القدسي سيبقى إسرائيلياً. اندلعت المواجهات مع المصلين، وسقط سبعة شهداء و 250 جريحاً.

تميزت هذه الانتفاضة بطابعها المسلح. استمرت حتى **8شباط (فبراير) 2005** بعد قمة شرم الشيخ.

نتائج الانتفاضة الثانية:

- **الخسائر البشرية** :استشهد 4412 فلسطينياً، وجرح 48322. قتل من الجانب الإسرائيلي 1069 (334 جندياً و 735 مستوطناً).
- **الخسائر العسكرية** :تدمير 50 دبابة ميركافا إسرائيلية، والعديد من الجيبات والمدرعات.
- **النتائج على الفلسطينيين** :اغتيال معظم القيادات الفلسطينية البارزة (ياسر عرفات، أحمد ياسين، عبد العزيز الرنتيسي، أبو علي مصطفى)، وتدمير البنية التحتية، وبناء جدار الفصل العنصري.
- **النتائج على الإسرائيليين** :انعدام الأمن وضرب السياحة بسبب العمليات الاستشهادية، مقتل وزير السياحة الإسرائيلي رحبعام زئيفي، فشل الجيش الإسرائيلي في كسر شوكة المقاومة في معركة مخيم جنين (التي قتل فيها 58 جندياً)، وضرب اقتصاد المستوطنات.

الانتفاضة الثالثة: انتفاضة القدس لنصرة الأقصى

بعد فشل المفاوضات وتصاعد الصراعات العربية، نشطت إسرائيل في سياسة الاستيطان وتهويد القدس. تصاعدت وتيرة الاعتداءات: نهب الأراضي، نسف البيوت، مهاجمة المواطنين، حرق أشجار الزيتون، واعتقال النشطاء.

كان آخر الاستفزازات الكبرى إغلاق المسجد الأقصى المبارك يوم الجمعة **14تموز(يوليو) 2017**، وهو أولى القبلتين وثالث الحرمين. خرج المقدسيون في تحدٍ واضح، واحتشدوا حول أبواب المسجد وأدوا صلاة الجمعة، متصدين بصدورهم للجنود. اشتبكوا مع قوات الاحتلال بأيدٍ فارغة، مؤكدين للعالم أن حرمة الأقصى أغلى من الروح.

إن ما تقوم به الصهيونية من عنصريّة وقتل أصبح عبئاً على العالم الذي يكتوي بنارها. لكن التاريخ يثبت أن الظلم زائل، والعدل والمساواة هما سمة البشرية في مواجهة الأشرار، وأن شعب فلسطين سيظل الشوكة التي تنغص حياة المحتلين.

المراجع

1. الموسوعة الفلسطينية (خاص، ج6، ص 1006) - شفيق الحوت وبيان نويهض.
2. الموسوعة الفلسطينية (خاص، ج6، ص 1008).
3. الموسوعة الحرة - ويكيبيديا.

المؤلف في سطور

- ثانوية عامة آداب (اجتماعيات).
- بكالوريوس آداب قسم (الجغرافية).
- دبلوم عام في التربية من جامعة دمشق.
- شهادة في التوجيه التربوي أونروا/ يونيسكو.
- شهادة تربوية في تدريب المعلمين أثناء الخدمة.

الأعمال التي شغلها:

- معلماً للابتدائي والإعدادي والثانوي ومدرساً لمادة التقنيات التربوية في كلية التربية بجامعة دمشق.
- مدرب للمعلمين في مدارس الأونروا في تدريس مادة الاجتماعيات لمدة 23 سنة.
- مشرف على إدارة دورات التوجيه والإرشاد في مدارس الأونروا في مدارس الوكالة، وموجهاً لمادة الاجتماعيات في مدارس الأونروا لمدة أربع عشرة سنة.
- عمل موجه لمادة الوسائل السمعية والبصرية في مدارس الأونروا لمدة سبع سنوات.
- أمين صندوق في رابطة الطلاب الفلسطينيين في سورية لمدة سنتين (اتحاد طلاب فلسطين).
- أمين سر الجمعية الجغرافية الفلسطينية في سورية.
- عضو باتحاد الكتاب والصحفيين الفلسطينيين العرب في سورية

مؤلفاته:

1) بلدة كفرسوسة (رسالة جامعية للتخرج).
2) قرية إجزم.
3) أزمة فلسطين بين الحقائق والتزوير.
4) الإدارة الأميركية المحافظة وتسيس نبوءات التوراة.
5) الإمبريالية المتصهينة والتميز العنصري.
6) مذكراتي.

كتب قيد النشر			
مشروع قرى وبلدات فلسطين أصبحت مدناً بالتعاون مع موسوعة القرى الفلسطينية			
الطيبة	أم الفحم	قلقيلية	شفاعمر
برقة نابلس	باقة الشرقية	عرابة البطوف	بيت أمر
سخنين	طمرة	دالية الكرمل	بعنة
إكسال	طرعان	أبو سنان	أرطاس
بيت أولا الخليل	إذنا الخليل	الرامة	الرينة
بلدة الشيوخ	الفريديس	اللقية النقب	بلدة المشهد
بلدة المغار	باقة الغربية	بدية	برقين
بلاطة نابلس	بلعا طولكرم	بني نعيم	بورين
بيت ساحور	بيت فجار	بيتونيا	بير زيت
ترقونيا	ترمسعيا	تل السبع	جسر الزرقاء
جلجولية	جماعين	جولس	حلحول الخليل
حوارة نابلس	حوارة النقب	دبورية	دير إستيا
دير الأسد	دير حنا	سعير الخليل	سلواد
سنجل	شعب	شعفاط	سقيف سلام
شويكة	صوريف	طمون	طوبا الزنجرية
عبسان	عتيل	عزون	عسفيا
عصيرة الشمالية	عقرباء نابلس	عنبتا	عورتا نابلس

عين ماهل	قبلان النابلسية	قفين	كفر الديك
كفر ثلث	كفر قاسم	كفر قدوم	كفر قرع
كفر كًنا	كفر ياسيف	مجدالكروم	ميثلون
نعلين	عيلبون	كفر راعي	جديدة عكا والمكر
بيت جالا	بيت حنون	بيت حنينا	بيت عمر التحتا
خان يونس	دير البلح	دير دبوان	دير غساني بيت ريما
سلفيت	سيلة الحارثية	سيلة الظهر	طوباس
عارة وعرعرة	عرابة جنين	عرعرة النقب	علار طولكرم
كابول	كفر مندا	بلدة السموع	بني سهيلا
بيت لاهيا	جباليا	دورا الخليل	راهط
رفح	سلوان	طيرة المثلث	قلنسوة
كسيفة	يعبد	يافا الناصرة	يطا